A/300

جامعة الخرطوم
كلية الاداب
قسم اللغة العربية

مسائل الخلاف بين العروضيين

بحث لنيل درجة الماجستير
في اللغة العربية

اعداد
الطالب عبد الله محمد أحمد

اشراف
الاستاذ محمد يوسف مصطفى

ديسمبر ١٩٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح
لما أغلق الخاتم لما سبق ناصر الحق
بالحق والهادى الى صراطك المستقيم
وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم .

شكـــــــــر

أزجـــى جزيـــل شكـــرى وتقـــديـــرى لاستـــاذى محمـــد الواثـــق لما أســـدى الـــى مـــن الايـادى وقدم مـــن كثير العون، وماضـــن بشئ يستطاع .

تقـــديـــم

بسم الله والحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد :
فهذا بحث أقدمه بين يدى الخوض فى مسائل الخلاف بين العروضيين ولم يكن علم العروض بدعا بين علوم العربية التى ثار حولها الخلاف والجدل فيه ترسى قواعد العلوم وتثبت دعائمها .

وقد بليت بحثى هذا على فكرة مدارها أن الخليل قد بنى منهجه فى العروض على منهجه فى اللغة وعلى هذا قست تقليب الاجزاء فى العروض على الالفاظ وقست المهملات من الاوزان على المهملات من الالفاظ والمطرد على المطرد والشاذ على الشاذ . وقد فصلت بحثى هذا فصولا أربعة : جعلت أول هذه الفصول فى الدائرة فعرضت فكرة الخليل فى استخراجه الاوزان من دوائرها وكيف استفاد هذه الفكرة من فكرة تقليب الالفاظ التى بنى عليها كتاب العين والتى أراد بها حصر الالفاظ العربية وعلى هذا سار منهجه فى الدائرة على أنّ الاسباب والأوتاد فى الاجزاء العروضية تقوم مقام الحروف فى الالفاظ .

وجعلت الفصل الثانى فى المهملات وقستها على مهملات الالفاظ اذ أنّ نظام الدائرة قد فرض مهملات الاوزان على الخليل كما فرض منهجه فى تقليب الالفاظ مهملات الالفاظ وبينت آراء العلماء فيها .

وجعلت الفصل الثالث فى الشواذ من الأوزان وبيّنت أنّها حملت على الشذوذ لقلتها فى اشعارهم أو لمخالفتها الأصول وهى محمولة على

شواذ الالفاظ التى عدّت شاذة لقلتها فى كلامهم فلم يجز أن تجعل أصولا يقاس عليها وتتبعت فى ذلك القدماء والمحدثين •

وعدّدت فى الفصل الرابع أنواع العلل والزحافات مبينا أنها على ضربين ضرب أثبته الخليل لإلحاق الصور المتغيرة للاجزاء العروضية بأصولها وضرب أوجده ليضبط به الدائرة كالقطف فى الوافر والجزء فى بعض البحور كما بينت •

ليس بين أيدينا شىء كثير مما كتب الخليل فى العروض ولا مما كتب معاصروه اللّهم الاّ كتاب الاخفش الاوسط فى القوافى فكان علينا الاعتماد على من أخذ عن الخليل من العلماء ومن أخذ عنهم وقد فصلوا القول فى ذلك وبينوه وأهم مصادرى ومراجعى :

(١) القوافى لابى الحسن الاخفش المتوفى عام ٢١٥هـ قد حكى فيه شيئا عن الخليل وهو أقربهم عهدا بالخليل بن أحمد إذ أنه قد صحب الخليل •

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه الاندلسى المتوفى عام ٣٢٧هـ وقد تميز فى كتابه هذا بأنّه قد اختصر على ذكر المستعمل من الاوزان دون المهمل وأكثر فيه من الامثلة التى صنعها للاوزان وبين الدوائر العروضية برسمها وانفرد بأن بيّن فيها مواطن العلة والزحاف التى تدخل على الاسباب والاوتاد •

(٣) الاقناع للصاحب بن عبّاد المتوفى عام ٣٨٥هـ وقد اختصر فى كتابه على ذكر المستعمل دون المهمل واكتفى فى كتابه بذكر البحور وايراد الامثلة لها باختصار دون تفصيل •

(٤) العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرافرة للدمامينى وتميزّ فى كتابه هذا بأنه تعرّض لكافة وجوه الخلاف بين العروضيين وعرض آراء العلماء فيها وفصّل الحديث عن العلة والزحاف •

(٥) البارع لابن القطّاع وقد اختلف مع الخليل فى نهجه فى الدائرة اذ أنّه لم يكتف بتناول الاسباب والاوتاد بل تناول الحروف المفردة بالتحريك فكان أن استخرج بذلك سبعة وعشرين بحرا مهملا •

(٦) القسطاس لجار الله الزمخشرى وقد نهج نهجا مختلفا عن الخليل فى تبيين تركيب البحور من الاجزاء العروضية فجعل البحور البسيطة من تكرار الاجزاء العروضية مفردة عدا (مفعولات) وبيّن أن البحور المركبة قد أزوج فيها بين جزئين مختلفين لكنهما متآلفان •

تمهيد

العروض ركن من أركان العلم بالشعر وهو ميزان الشعر كما أنّ النحو ميزان الكلام ، يعرف به صحيحه من مكسوره قال الخليل : (وسمّى العروض لأنّ الشعر يعرض عليه)(١)

أمّا واضع هذا العلم فهو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى وأصله من الازد من فراهيد وكان غاية فى استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس وهو أول من استخرج العروض وحصّن به أشعار العرب .(٢) وقال ياقوت: (كان الغاية فى تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله أخذ عن أبى عمرو بن العلاء وأخذ عليه الاصمعى وسيبويه وهو أول من استخرج العروض وضبط اللغة وحصر أشعار العرب وكانت معرفته بالايقاع هى التى أحدثت له علم العروض وكان يقول الشعر فيلظم البيتين أو الثلاثة ونحوهما وله من التصانيف كتاب الايقاع وكتاب الجمل وكتاب العروض وكتاب العين فى اللغة .(٣)

---

(١) العين للخليل ص ١٦ تحقيق عبد الله درويش مطبعة العانى ببغداد ١٩٦٧م .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٥٣ طبع بيروت ١٩٣٨م.

(٣) معجم الادباء جـ١١ ص ٧٤ . مطبوعات دار المأمون ١٣٥٥/١٩٣٦هـ.

وقال القفطي : (نحوي لغوي عروضي استنبط من العروض وعلله مالم يستخرجه أحد ولم يسبقه الى علمه سابق من العلماء وقيل انّه دعا بمكة أن يرزقه اللّه علما لم يسبقه اليه أحد ، فرجع من حجّه وفتح عليه بالعروض وله علم بالايقاع ، وله كتاب فيه ومعرفته بالنغم ومواقعها أحدث له علم العروض[1] وقد نسب اليه القفطي شعرا قال : (وللخليل قصيدة على (فعلن) ثلاثة متحركات وساكن .

سئلوا فأبوا فلقد بخلوا
فلبئس لعمرك مافعلوا
أبكيت على طلل طربا
فشجاك وأحزنك الطلل

وله أخرى على (فعلن) :

هذا عمرو يستعفي من
زيد عند الفضل القاضي
فانهوا عمرا انّي أخشى
صول الليث العادي الماضي [2]

---

(١) انباه الرواة على أنباه النحاة ص ٣٤٢ تحقيق محمد أبو الفضل طبع دار الكتب ١٣٦٩هـ.

(٢) نفسه جـ١ ص ٣٤٢ .

وتوفى الخليل رحمه الله سنة سبعين ومائة وقيل سنة خمس وسبعين ومائة وهو ابن أربع وسبعين سنة . (١)

وهو أول من ألف فى الاوزان ثم ألف بعده العلماء فمنهم من خالف الخليل ومنهم من زاد واستدرك وأقدمهم عهدا هو أبو الحسن الاخفش سعيد بن مسعدة وقد صحب الخليل قال ابن النديم : (هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة مولى مجاشع بن دارم ، أخذ عن سيبويه وهو أحد أصحابه) (٢) وقال ياقوت : (هو سعيد بن مسعدة أبو الحسن المعروف بالاخفش الاوسط وله كتب كثيرة فى العروض والقوافى) (٣) . وقال ياقوت : قال المبرّد : الاخفش أكبر سنا من سيبويه غير أنه لم يأخذ عن الخليل وكان جميعا يطلبان ، فجاء اليه الاخفش بعد أن برع فناظره فقال له الاخفش : انما ناظرتك لاستفيد لاغير . قال : أترانى أشك فى هذا). (٤) وقال الزبيدى : (وقد صحب أبو الحسن الاخفش أول أمره الخليل بن احمد الفراهيدى ودرس عليه) (٥) .

---

(١) معجم الادباء جـ ١١ ص ٧٤ .

(٢) الفهرست ص ٥٣ ، طبع المانيا ١٨٧٢م .

(٣) معجم الادباء جـ ٦ ص ١٥٥ .

(٤) نفسه ص ٤٠٣ .

(٥) الطبقات ص ٧٤ القاهرة ١٩٥٤م .

ومما يؤيد صحبة الاخفش للخليل هو أنّ اسم الخليل قد تردّد كثيرا فى صفحات كتابه (القوافى) كقوله مثلا بعد أن أحصى حروف القافية وحركاتها : (فهذا جميع ماذكره الخليل من اللوازم فى القوافى من الحروف والحركات) (١) ولم يذكر أنّه أخذ ذلك عن أحد وقال ابن رشيق : (ذكر الزّجاج أنّ ابن دريد أخبره عن أبى حاتم عن الأخفش قال : سألت الخليل بعد أن عمل كتاب العروض لم سمّيت الطويل طويلا ؟ قال لأنّه طال بتمام أجزائه • قلت فالبسيط ؟ قال لأنه انبسط عن مدى الطويل الى آخر حديثه)• (٢) فهذا يشير اشارة واضحة الى صحبة الاخفش للخليل وأخذه عنه • وممن ألّف فى العروض وذهب الى مخالفة الخليل اسماعيل بن حمّاد الجوهرى قال ياقوت: (وله من التصانيف كتاب عروض الورقة وهو كتاب جيّد بالغ• وكانت وفاته عام ثلاث وخمسين وأربعمائة للهجرة) (٣) وقال ابن رشيق ثم ألّف الناس بعد الخليل الى أن وصل الامر الى اسماعيل بن حمّاد الجوهرى فبيّن الاشياء وأوضحها فى اختصار والى مذهبه حذّاق أهل الوقت، فأول ماخالف فيه الخليل أن جعل الخليل الاجزاء التى توزن بها الدائرة ثمانية منها اثنان خماسيان وهما (فعولن) و (فاعلن) وستة سباعية وهى (مفاعيلن) و (مستفعلن) و (فاعلاتن) و (مفاعلتن) و (متفاعلن) و (مَفعُولاتُ) فنقص الجوهرى

---

(١) القوافى لأبى الحسن الاخفش تحقيق د• عزّة حسن طبع دمشق ١٣٩٠هـ•

(٢) العمدة جـ ١ ، ص ٣٦ تحقيق محمد محى الدين طبع المطبعة التجارية بمصر ١٣٨٣هـ•

(٣) معجم الادباء جـ ٦ ص ١٥٥ •

منها الجزء (مفعولات) وأقام الدليل على أنّه منقول (مُسْتَفْعِلُنْ) مفروق الوتد أى مقدم اللون على اللام وجعل الجوهرى أجناس الأوزان أثنى عشر بابا سبعة مفردات وخمسة مركبات قال : فأولها المتقارب، ثمّ الهزج والطويل بينهما مركب منهما ثم بعد الهزج الرّمل والمضارع بينهما ثم بعد الرّمل الرجز والخفيف بينهما ثم بعد الرجز المتدارك والبسيط بينهما ثم بعد المتدارك المديد مركب منه ومن الرمل قال ثم الوافر والكامل لم يتركب بينهما بحر لما فيهما من الفاصلة) . (١)

ولنذكر ممن خالف الخليل ابن القطاع الصقلى فى كتابه (العروض البارع) وقد ابتكر ابن القطاع مذهبا جديدا لاستخراج الأبحر من الاجزاء العروضية، فاذا أراد أن يستخرج من الطويل البحر الذى يليه ويفكّه منه عمد الى (الفاء) من (فعولن) فأخّرها فيصير :

---

(١) العمدة جـ ١ ص ١٣٧ .

عولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فـ

عولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فـ

وهى مفعول مفعولات مفعول مفعولات

مفعول مفعولات مفعول مفعولات

وعد هذا البحر مهملا فزاد بذلك عدد المهملات فاستخرج سبعة وعشرين بحرا مهملا وقال عنهما : ولم يذكرها أحد من المتقدمين ولا المتأخرين وفعلت فى استخراجها فعل الخليل وليس له غير السبق (١) .

نسبة علم العروض للخليل :

ارتبط علم العروض باسم الخليل بن أحمد كما مر فى تراجم للخليل من العلماء وان لم يحج هذا القول من اعتراض المعترضين فذهب قوم الى أن علم العروض سابق للخليل يقول ابن فارس: (فان قال قائل ان أبا الاسود الدؤلى أول من وضع العربية وان الخليل أول من تكلم فى العروض قيل له نحن لا ننكر ذلك بل نقول ان هذين العلمين قد كانا قديما وأتت عليهما الايام وقلا فى أيدى الناس ثم جددهما هذان الامامان).

ويمضى ابن فارس فى استدلاله قائلا: (أما العروض فمن الدليل على أنه كان متعارفا معلوما اتفاق أهل العلم على أن المشركين لما

---

(١) البارع لابن القطاع مخطوط بدار الكتب ١ عروض ٤١٩ .

سمعوا القرآن قالوا أو قال منهم إنه شعر فقال الوليد بن المغيرة : (لقد عرضت مايقرأه محمد على أقراء الشعر هزجه ورجزه وكذا وكذا فلم أراه يشبه شيئا من ذلك) .[1] وقال ابن سعد فى قصة إسلام أبى ذر الغفارى رضى الله عنه : (قال أبو ذر قال لى أخى أنيس : إن لى حاجة بمكة فانطلق فرات فقلت ماحبسك ؟ قال : لقيت رجلا على دينك يزعم أن الله أرسله قلت : فما يقول الناس؟ قال : يقولون ساحر كاهن شاعر وكان أنيس أحد الشعراء فقال والله لقد وضعت قوله على اقراء الشعر فلم يلتئم مع لسان أحد)[2] فهذا القول يشير الى معرفة العرب باللغم وأنهم يفرقون بين ماهو شعر وماسواه .

ولعل هذا يجرنا الى التساؤل حول معرفة العرب بعلوم العربية قبل تاريخ الوضع لها وحول معرفتهم بالحروف وبالكتابة وقد زعم من العلماء أن العرب لم تكن تعرف نحوا ولا اعرابا ولا صرفا ولا نصبا قال أبو الحسن الاخفش : (وأخبرنى من أثق به أنهم قالوا لأعرابى فصيح : أتجر فلسطين ؟ قال انى اذا لقوى وقيل لآخر أتهمز إسرائيل ؟ قال انى اذا لرجل سوء

---

(١) الصاحبى ص ٢٨ طبع بمطبعة المؤيد بمصر ١٣٢٨هـ — ١٩١٠م .

(٢) كتاب الطبقات الكبير لابن سعد جـ ٤ ص ١٦١ طبع المطبعة التجارية بمصر ١٣٥٨هـ .

وقيل لاعرابى فصيح أنشدنا قصيدة على الدال فقال والدال يا بأبى وقالوا لأبى حية النميرى أنشدنا قصيدة مع الكاف فأنشد :

كفى بالنأى من أسماء كافى
وليس لحبها اذ طال شافى

قال وسألت العرب وغيرها عن الحروف فاذا هم لايعرفون الحروف) (١) ويرد ابن فارس على هذا بقوله (وأما ماحكى عن الاعراب الذين لم يعرفوا الهمز والجر والدال والكاف فانا لم نزعم أن العرب كلها قدرا ووبرا كانت تعرف الكتابة كلها والحروف أجمعها والعرب فى قديم الزمان الا كنحن اليوم فما كل يعرف الكتابة ويخط ويقرأ .

وكان فى أصحاب رسول الله (ص) كاتبون منهم أمير المؤمنين على رضى الله عنه والذى نقوله فى الحرف هو الذى نقوله فى الاعراب والعروض والدليل على أن العرب قد تداولوا الاعراب أنا نستقرئ قصيدة الحطيئة :

شاقتك أظعان لليلى
دون ناظرة بواكر (٢)

---

(١) القوافى ص (١) .

(٢) ديوان الحطيئة شرح السكرى دابن السكيت ص ٦٥ طبع دار الكتب . ١٩٥٨م .

فيهم من يعرف ذلك يقول أبو العلاء : (وهذه الاسماء الموضوعة لا يعقل مثلها سكان العمد فان كانت قد تلقيت عن العرب فيجب أن يكون من أخذ عنه ذلك يخط ويقرأ فقد كان فيهم رجال يقرأون ويكتبون ويعرفون مواقع الحروف) [٢] وقد ورد في أشعار العرب ودل على معرفتهم بالكتابة والحروف قول لبيد :

متعود لحن يعيد بكفه
قلما على عسب ذبلن وبان [٣]

وقال الحارث بن حلزة :

واذكروا حلف ذى المجاز وما
قدم فيه العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدى وهل
ينقض مافى المهارق الأدواء . [٤]

---

(١) الصاحبى ص ٢٨ .
(٢) مقدمة اللزوميات طبع دار المعارف سنة ١٩٣٩م .
(٣) ديوان لبيد ص ١٢٠ . دار صادر بيروت ١٣٨٦هـ .
(٤) الشعر والشعراء ص ١٥٢ طبع بيروت ١٩١٢م .

وجاء فى الشعر والشعراء ذكر صحيفة المتلمس اذ شك فيها فدفعها الى غلام فقرأها له وأنبأه بما فيها وذكر صحيفة لقيط إلى قومه اياد يحذّرهم فيها من غدر عدوهم بهم :

سلام فى الصحيفة من لقيط
الى من بالجزيرة من اياد (١)

وهذا يشير اشارة واضحة الى الهام العرب بالحروف وبالكتابة . اما قول الجاحظ : (وكلّ شىء للعرب فانّما هو بديهة وارتجال ثم لا يقيّده على نفسه ولا يدرسه أحدا من ولده وكانو أميين لا يكتبون)(٢). فقد كان يعنى به عامتهم ولا يلتفى بهذا معرفة بعضهم بالكتابة .

يبقى الزعم القائل بأنّه كانت لعلم العروض سابقة وأنّ الخليل انما أخذ ذلك عمن قبله من أهل العلم . قال أبو الحسن (زعم الخليل أنّ الاكفاء هو الاقواء وقد سمعته من غيره من أهل العلم وسألت العرب عن الاكفاء فاذا هم يجعلونه الفساد فى آخر الشعر من غير أن يحدوا فيه شيئا).(٣) فالاخفش لا ينسب اليهم تحديدا دقيقا لمعنى الاكفاء بدليل قوله (من غير أن يحدّوا فيه شيئا) . وقال ابن قتيبة : (كان أبو عمرو بن العلاء يذكر الاقواء وهو اختلاف الاعراب فى القوافى وذلك أن تكون قافية مرفوعة وأخرى مخفوضة كقول النابغة :

---

(١) الشعر والشعراء ص ١٥٢ .
(٢) البيان والتبيين جـ١ ص ٣٩ . مكتبة المثنى ببغداد ١٣٨٠هـ
(٣) القوافى ص ٤٣ .

قالت بنو عامر قالوا بنى أسد

يا ئوس للجهل ضرارا لاقوام

تبدو كواكبه والشمس طالعة

لا النور نور ولا الاظلام اظلام

وكان يقول ان النابغة وبشربن ابن خازم كانا يقويان (١)
وقد كان أبو عمرو سابقا للخليل فقد توفى أبوعمرو سنة أربع وخمسين ومائة (٢) وتوفى الخليل سنة سبعين ومائة أو أربع وسبعين ومائة . (٣)

وقد جاء فى ترجمة الخليل من قبل أنه أخذ عن أبى عمرو فما دام قد ذكر الاقواء فهذا يدل على معرفة العرب بها قبل الخليل وقال المرزبانى : (قال أبوعبيدة حدثنى أبو عمرو بن العلاء قال : فحلان من الشعراء كانا يقويان ، النابغة وبشربن أبن خازم . فأما النابغة فدخل يثرب وغنى بشعره ففطن فلم يعد الى الاقواء وأما بشر فقد قال له أخوه سوادة إنك تقوى أو قال له أكفأت وأسأت). (٤)

---

(١) الشعر والشعراء ص ٦٠١ .
(٢) طبقات الزبيدى ص ٢٣ .
(٣) طبقات الزبيدى ص ٤٧ .
(٤) الموشح ص ٦٠ دار المعارف ١٩٥١م .

كل هذه الروايات تشير الى العام العرب قبل الخليل ببعض هذه الالقاب والمواصفات ولكن هل كانت العرب تعرف هذه الالقاب والمواصفات بهذه الصفة العلمية الدقيقة كما فصلها وبينها علماء العروض الارجح أن العرب كانت تعرف هذه الاسماء معرفة عامة ليست هى بالمعرفة العلمية الدقيقة التى تستقى من علم موروث متعارف عليه بينهم فكلمة الاخفش من غير أن يحدوا فيها شيئا تشير الى أنهم لم يحدوا لكلمة الاقواء معنى دقيقا بل يشيرون الى الفساد الذى يصيب آخر البيت ولعل ذلك مأخوذ من قول العرب أقوى الفاتل الحبل اذا جاءت قوة من الحبل تخالف سائر القوى [1] وهو شيء انما فطنوا له بذوقهم • ويقول ابن سلام ولم يقو من الطبقة الاولى الا النابغة حيث يقول :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه
فتناولته واتقتنا باليد
بمخضب رخص كأن بنانه
عنم يكاد من اللطافة يعقد

فدخل يثرب فعيب عليه ذلك بأنه لهم قال وأهل المدينة ألطف نظرا من أهل القرى وكانوا يكتبون لمجاورتهم أهل الكتاب

---

(١) المعيار ص ٦٠ فى أوزان الاشعار ص ١٠٧ طبع المكتب الاسلامى دمشق سنة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م•

فجاءوا بجارية تغنيه وقالوا لها اذا جئت عند البيتين فرتلى/ففطن ولم يعد . (١) وقوله (ألطف نظرا) يشير الى أنهم أدركوا ذلك بحسهم ورقة طبعهم اذا فطنوا الى الاختلاف بين القافيتين المخفوضة والمرفوعة وسائر الاحكام والاسماء التى أطلقها العرب على الشعر انما هو شئ اعتمدوا فيه على الطبع والسليقة فالنابغة عندما سمع حسان بن ثابت ينشد :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى
واسيافنا يقطرن من نجدة دما (٢)

قال له : أنت شاعر ولكنك أقللت جفناك وأسيافك (٣) فالنابغة لم يكن يعنى بقوله (أقللت) جموع القلة كما هى عند النحويين اذ أن (أسيافنا) و(جفنات) تدخل فى جموع القلة بقول ابن مالك :

أفعلة أفعل ثم فعله
ثمت أفعال جموع قلة

وانما أدرك النابغة بسليقته أن هذه الجموع تدل على القلة وهذا أمر يتعلق بخصائص اللغة فهو لايعنى القلة اصطلاحا ولكنه فهم أنه اذا جاء بها على/هذه الصوره دلت على القلة .

---

(١) طبقات الشعراء ص ٥٦ تحقيق محمود محمد شاكر طبع دار المعارف . ١٩٥٢ .

(٢) ديوان حسان بن ثابت ص ١٦٩ شرح البرقوقى طبع مصر ١٣٣٨٠ .

(٣) الموشح للمرزبانى ص ٦٠ .

عله أن يقول فيه اسمان لغوى وشرعى وكذلك سائر العلوم كالنحو والعروض)• (١)

فكل هذه الالقاب والمواصفات لها أصولها اللغوية فاذا أخذنا أسماء العلل والزحافات تبين ذلك يقول الخوارزمى فى شرحه لبعض هذه المصطلحات :

(الاثرم هو الحوض المكسر الثنية والاثلم هو الذى فيه ثلمة والموقوص هو الذى اندقت عنقه والأخذ مشتق من الحذ وهو القطع السريع والمخبول الذى ذهبت يداه والمسبغ من السبوغ وهو الكمال والمذال من الذبل والمراقبة من مراقبة الكوكبين وهو طلوع أحدهما عند مغيب الاخر) (٢) ويتضح من هذه الاسماء ان ماكان نقصا وضع له اسم يدل على النقص وماكان زيادة كالترفييل والتذييل وضع له اسم يدل عليه

---

(١) ألفية ابن مالك جـ ١ ص ١٢٧ طبع القاهرة ١٣٧٥•

(٢) المزهر للسيوطى جـ ١ ص ٣٥ • طبع دار احياء الكتب العربية ١٢٨٢هـ •

وأمّا معرفة العرب بالأوزان ومحافظتهم على الوزن، اذ لم يكن الشاعر يخرج عن وزن ابتدأ به - انّما كان ذلك نتاج الطبع والسليقة يقول ابن جنّى : (وليس جميع الشعر القديم مرتجلا بل كان يعرض فيه لهم من الصبر عليه والملاطفة له والتلوّم عليه واحكام صنعته ألا ترى الى مايروى عن زهير أنّه كان يحوك القصيدة فى سنة والحكاية فى ذلك عن ابن أبى حفصة أنه قال يعنى زهيرا كنت أعمل القصيدة فى أربعة أشهر وأحككها فى أربعة أشهر وأعرضها فى أربعة أشهر ثم أخرجها الى الناس • وقال سويد بن كراع :

أبيت بأبواب القوافى كأنما
أذود بها سربا من الوحش نزّعا (١)

وذكر الآمدى (٢) شعرا لامرئ القيس بن بكر بن امرئ القيس فى معالجة الشعر :

أذود القوافى عنّى ذيادا
ذياد غلام غوى جرادا •
فلما كثرن وأعيينى
تلقيت منهم عشرا جيادا •
فاعزل مرجانها جانبا
وآخذ من درّها المستجادا •

---

(١) الخصائص جـ ١ ص ٣٢٤ • طبع دار الهدى بيروت ، ١٣٣١هـ ١٩١٣م •

(٢) الموتلف والمختلف ص ١٠ • طبع مطبعة القدس القاهرة ١٣٤٥هـ•

وقال عدى بن الرقاع:

وقصيدة قد بتّ أجمع شملها
حتى أقوّم ميلها وسنادها •
نظر المثقف فى كعوب قناته
حتى يقيم ثقافة مآدها • (١)

وكلّ هذا انّما كانوا يعتمدون فيه على الطبع والسليقة •

وقد كان للخليل فضل وضع الالقاب والمواضعات وتبيين الاوزان ونقل هذه الاسماء من معانيها اللغوية الأصلية الى معانيها الاصطلاحية يقول ابن رشيق (وقد حكى أبو القاسم الزّجاج اختلاف الناس فى ألقاب الشعر فحكى عن الخليل شيئا أخذت به اختصارا وتقليدا لأنه أوّل من وضع علم العروض وفتحه للناس وغادرت ماسوى ذلك من قول أبى اسحاق الزجاج وغيره لا على أن فيه تقصيرا) (٢)

وقال ياقوت قال أبو عمرو الجرمى : قال الخليل : رتبت البيت من بيوت الشعر ترتيب العرب البيت من بيوت الشعر فسميت الاقواء (٣) ماجاء فى الشعر من المخفوض والمرفوع على قافية واحدة كقول النابغة :

أمن ال مية رائح أو مغتدى
عجلان ذا زاد وغير مزوّد

---

(١) ديوان عدى طبع القاهرة ١٩٥٢ •
(٢) العمدة لابن رشيق جـ١ ص ١٣٦ •
(٣) ديوان النابغة ص ٢٨ • بيروت ١٣٧٩هـ •

زعم البوارح أن رحلتنا غـدا
وبذاك تبّأنا الغداف الأسـود

قال وانما سميته اقواء لأن العرب تقول أقوى القاتل الحبـــل اذا جاءت قوة من الحبل تخالف سائر القوى قال : وسميـــت تغيير ماقبل حرف الروى سناداً من مساندة بيت الى بيت . (١)
ولعله من الارجح الأخذ بقول ابن رشيق فى أن الخليل هو صاحب هذه الالقاب والمواضعات لأنـه هو الذى وضع علم العروض وألقابه بمعانيها الاصطلاحية التى تعرف بها . وقد كان لالمـام الخليل بعلم الموسيقى أثر كبير فى وضعه لعلم العروض .

قال القفطى فى ترجمة الخليل (وله علم بالايقاع وله كتاب فيه ومعرفته بالنغم ومواقعها أحدث له علم العروض) (٢) وقـــال ياقوت : (وكانت معرفته بالايقاع أحدثت له علم العروض) (٣)
وقال ابن منظور (والايقـاع من ايقاع اللحن والغناء وهو أن يوقع الالحان ويبينها وسمى الخليل كتابا من كتبه فى ذلك المعنى الايقاع) (٤)

---

(١) معجم الادباء جـ ١١ ص ٧٢ .
(٢) أنباه الرواة ص ٣٤٢ .
(٣) معجم الادباء جـ ١١ ص ٧٤ .
(٤) لسان العرب جـ ٣ ص ٥٧٢ بيروت ١٩٥٥ .

وجاء فى معنى كلمة " نغم" (النغمة جرس الكلمة وحسن الصوت وهو حسن النغمة وقال ساعدة ابن جوية :

ولو انها ضحكت فتسمع نغمها
رعش المفاصل صلبة مُتجلِّب

وتلغم بالغناء) (١) ويقول أبوبكر الزبيدى فى معرفة الخليل بالموسيقى (وكذلك ألّف كتاب الموسيقى قدّم فيه أصناف النغم وحصر به ألوان اللحون وحدد ذلك كله وحصره ولخّصه وذكر مبالغ أقسامه ونهاية أعداده) (٢) من كل هذا يتضح دور علم الخليل بالايقاع والنغم فى وضع علم العروض • وقد استخرج الأوزان من التفكر فى أشعار العرب واستقرائها • ويقول الزبيدى : " ان الخليل قد استخرج علم العروض من أشعار العرب • فقد لاحظ الخليل اختلاف موسيقى الاشعار وذلك لمعرفته بالموسيقى ففرق بينها كما يفرق بين الالحان وتابع ذلك حتى حصره واستطاع أن يحصى خمسة عشر وزنا من أوزان العرب " (٣) ثم استعان بمعرفته باللغة فى تبيين أصوله وفروعه يقول الدمامينى " اختار العروضيون الاجزاء الدائرة بينهم فى وزن الشعر الفاء والعين واللام اقتفاء لأهل الصرف فى وزن الاصول بهذه الحروف فحذوا حذوهم فى مطلق الوزن بها لما كان على ثلاثة

---

(١) لسان العرب جـ٣ ص ٥٧٢ (مادة نغم) •
(٢) طبقات الزبيدى ص ٧٤ •
(٣) نفسه ص ٧٤ •

أحرف مع قطع النظر عن الاصالة والزيادة وأضافوا الى ذلك من الحروف الزوائد وهى سبعة : الالف والواو والسين والتاء والنون والميم والياء " (١) ثم استفاد من تقليب الحروف فى علم اللغة لانشاء دائرته وقد أفردنا لهذا فصلا •

وقد ذهبت بعض الروايات الى أن الخليل قد استنبط علم العروض من علم آخر فى التلغيم عند العرب قال المرزوقى روى الاخفش عن حسن بن يزيد سألت الخليل : هل للعروض أصل ؟ قال : نعم ، مررت بالمدينة حاجا فرأيت شيخا يعلم غلاما يقول له : قل " نعم لا " نعم لا لا • نعم لا • نعم لالا • فقلت له ما هذا الذى تقوله للصبى قال هو علم يتوارثونه عن سلفهم يسمونه التلغيم • قال الخليل فرجعت الى المدينة بعد الحج فأحكمتها فجرى الخليل فى تجربته على ماسمع من الشيخ فان وزن قوله نعم لا " فعولن " ونعم لا لا " مفاعيلن " (٢) فان صحت الرواية لستطيع القول بأن هذا التلغيم قد أوحى للخليل بأن الاجزاء المتماثلة اذا وضعت فى نظام معين أفضت الى بناء منظوم ويرجع هذا الى تساوى المتحركات والسواكن فى هذه الكلمات

---

(١) العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرامزة ص ٧ طبع المطبعة الميمنية بمصر ١٣٢٤هـ •

(٢) عروض ابن الحاجب ص ٢ خ بدار الكتب عـ١٦ عروض خ رقم ٣٤٦٢ •

ومما ييسر متابعة النغمة أن التفاعيل دائما تنتهى بساكن يقول الفارابى " أصناف التفاعيل أو الأقاويل يمكن أن تصير موزونة بنقلة منتظمة متى كان لها فواصل والفواصل انما تحدث بوقفات تامة وذلك يمكن أن يكون بحروف ساكنة لذلك لزم أن تكون متحركات معدودة وأن تتناهى أبدا الى ساكن فان نسبة وزن القول الى الحروف تشبه الايقاع المفصل " (١)

التعريف بعلم العروض :

يقول الصاحب (الشعر مبنى على سبب ووتد وفاصلة فالسبب سببان خفيف وثقيل فالخفيف متحرك بعده ساكن والثقيل حرفان متحركان معا • أما الوتد فوتدان مجموع ومفروق فالمجموع حرفان متحركان بعدهما ساكن والمفروق حرفان متحركان بينهما ساكن والفاصلة فاصلتان كبرى وصغرى فالكبرى أربعة متحركات بعدها ساكن والصغرى ثلاثة أحرف متحركات بعدها ساكن ويجمعها قولك لم أر على ظهر جبل سمكة ولا يجتمع فى الشعر ساكنان الا فى قواف مخصوصة) (٢)
وهذه هى الاجزاء التى تتكون منها التفاعيل • ويقول : (وأجزاء

---

(١) الموسيقى الكبير ص ١٠٥٥ • دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة

(٢) الاقناع ص ٤ لابن عباد • تحقيق الشيخ محمد حسن طبع دار المعارف القاهرة ١٣٧٩ هـ •

الافاعيل ثمانية اثنان خماسيان وهما فعولن وفاعلن وستة سباعية وهى مفاعيلن ، فاعلاتن ، مستفعلن ، مفاعلتن ، متفاعلن مفعولات وماجاء بعد هذا فهو زحاف له وفرع عليه) (١)

وأجزاء العروض من جنس أبنية الصرف فالجزء " فعولن" هو صيغة المبالغة "فعولٌ" على أننا نكتب التنوين بلفظه ومتفاعلن هو اسم الفاعل من تفاعل وفاعلاتن هو جمع المؤنث السالم لفاعله وكذلك سائر الأجناس .

وكيفية تقطيع الأبيات أن تتبع اللفظ الذى يؤديه اللسان دون الحرف وأن تتنكّب عن اصطلاحات الخط جانبا فلا يلغى التنوين ولا الحرف المدغم اذ يفك الادغام ولا واو الاطلاق وألفه وياؤه لأنها ثابتة فى اللفظ وتلغى ألفات الوصل وألف التثنية التى بعدها ساكن وأن تنظر الى اللفظ دون الخط كما يكون فى البيت :

دار لسلمى اذ سليمى جارة
قفر ترى آياتها مثل الزبر
دارَ لسلْ/ماذ سلي/ما جارتن
قفرَنْ ترا/ ءايَاتها/ مثلزبر (٢)

---

(١) الاقناع ص ٤ .

(٢) القسطاس ص ٢ مخطوط بدار الكتب ٢ ش عروض .

واستخرج الخليل الدوائر من الأجزاء العروضية وذلك بتقليب الأسباب والأوتاد وطريقة الفك أن تبدأ من أول كل سبب ووتد بقدر ما فى الدائرة من الاسباب والأوتاد يقول التبريزى فى فك دائرة الطويل (وقدم الطويل فى هذه الدائرة لأن أوله وتد والوتد أقوى من السبب فوجب تقديمه عليه فلما حصل الطويل أوّل هذه الدائرة وكان المديد يفك من "لن" من "فعولن" والبسيط يفك من "عيلن" من مفاعيلن رتّب المديد على البسيط لأنه يفك عن الطويل قبل البسيط فاذا أردت أن تفك المديد عن الطويل فككته من "لن" عند "فعولن" واذا أردت أن تفك البسيط من الطويل فككته من "عيلن" فى "مفاعيلن" وكذا يفك بعض هذه البحور من بعض ومايفقص من أوائلها يزاد فى أواخرها) (١) وهذه صور الدوائر كما رسمها ابن عبد ربه :-

---

(١) الكافى فى العروض والقوافى ص ٥٠ تحقيق الحسانى عبد الله طبع الخانجى القاهرة ١٩٥٧ .

الدائـــــرة الاولـــى

المختلـــف

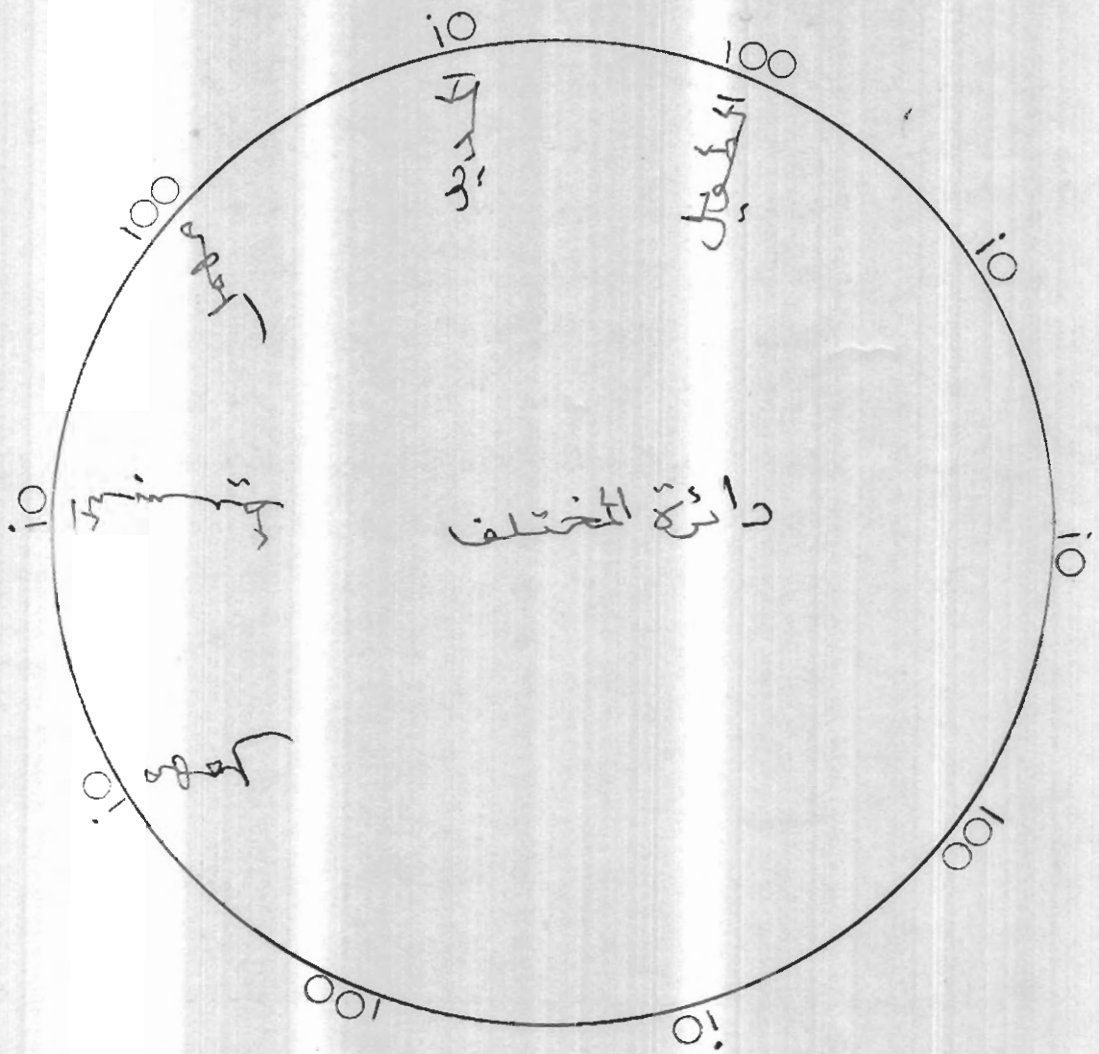

وتشتمل على ثلاثة أبحر مستعملة هى : (الطويل والمديد والبسيط وبحرين مهملين) • وقد بيّن عليها مواطن العلل والزحافات •

الدائـــرة الثانيـــة

المؤتـــلف

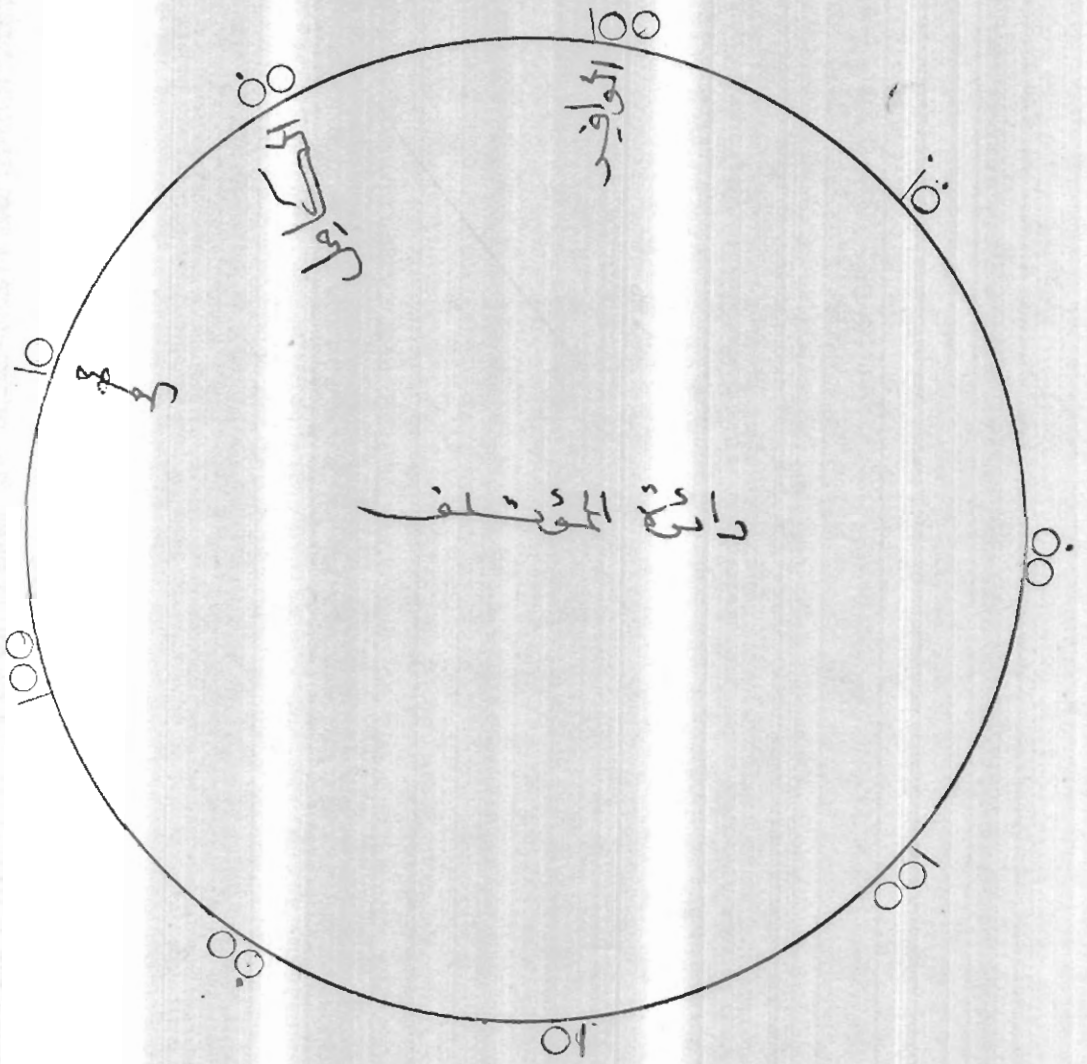

وتشتمل على ثلاثة أبحر • بحران مستعملان وبحر مهمـــل •
البحران المستعملان همـــا : الوافـــر والكامـــل •

الدائـــرة الثالثـــة

المجتلـــب

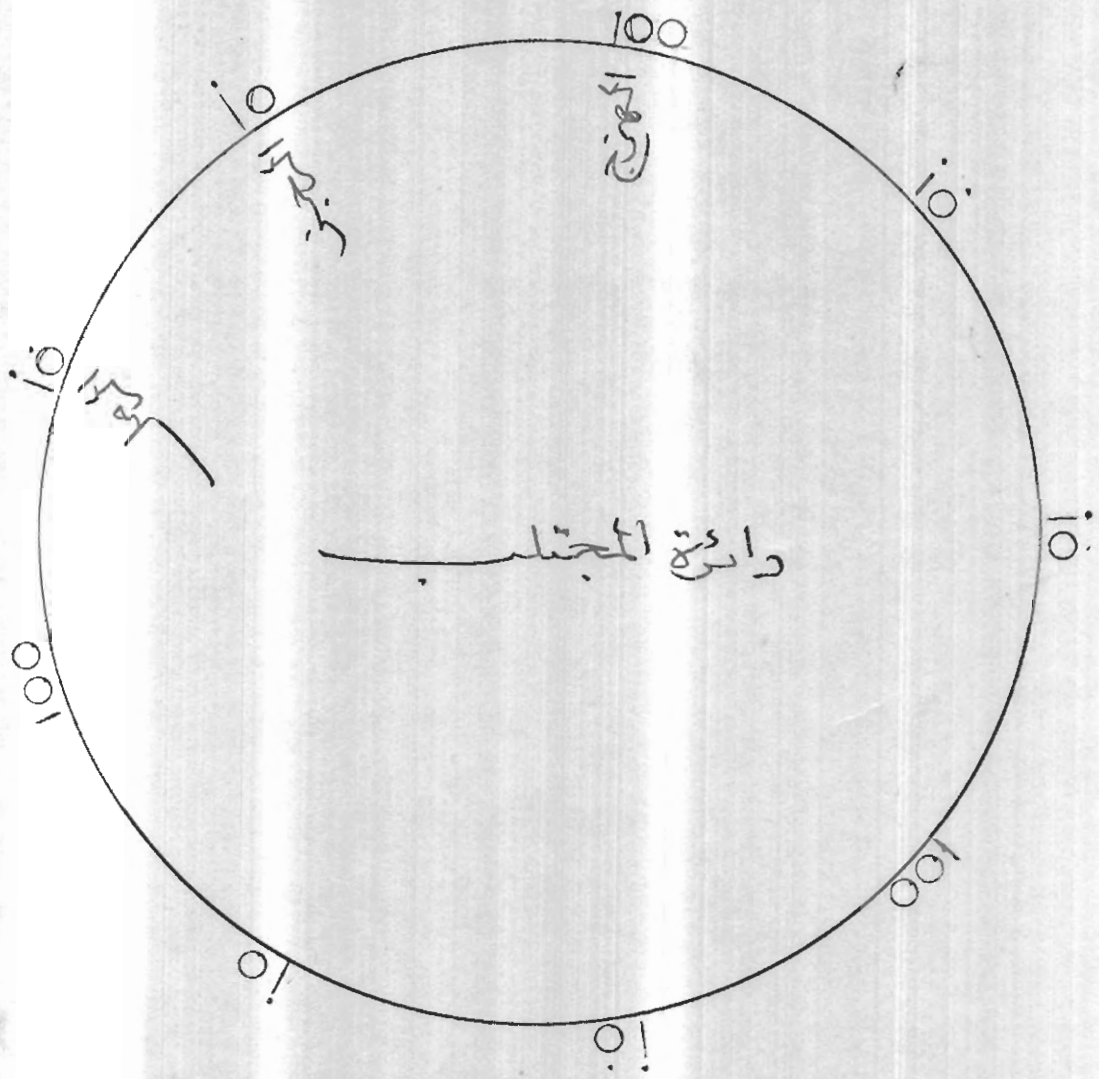

وتشتمل على ثلاثة أبحر مستعملة هـي : الهزج ،الرجـز ،الرمـل .

الدائـــرة الرابعـــــة

المشتبـــــــه

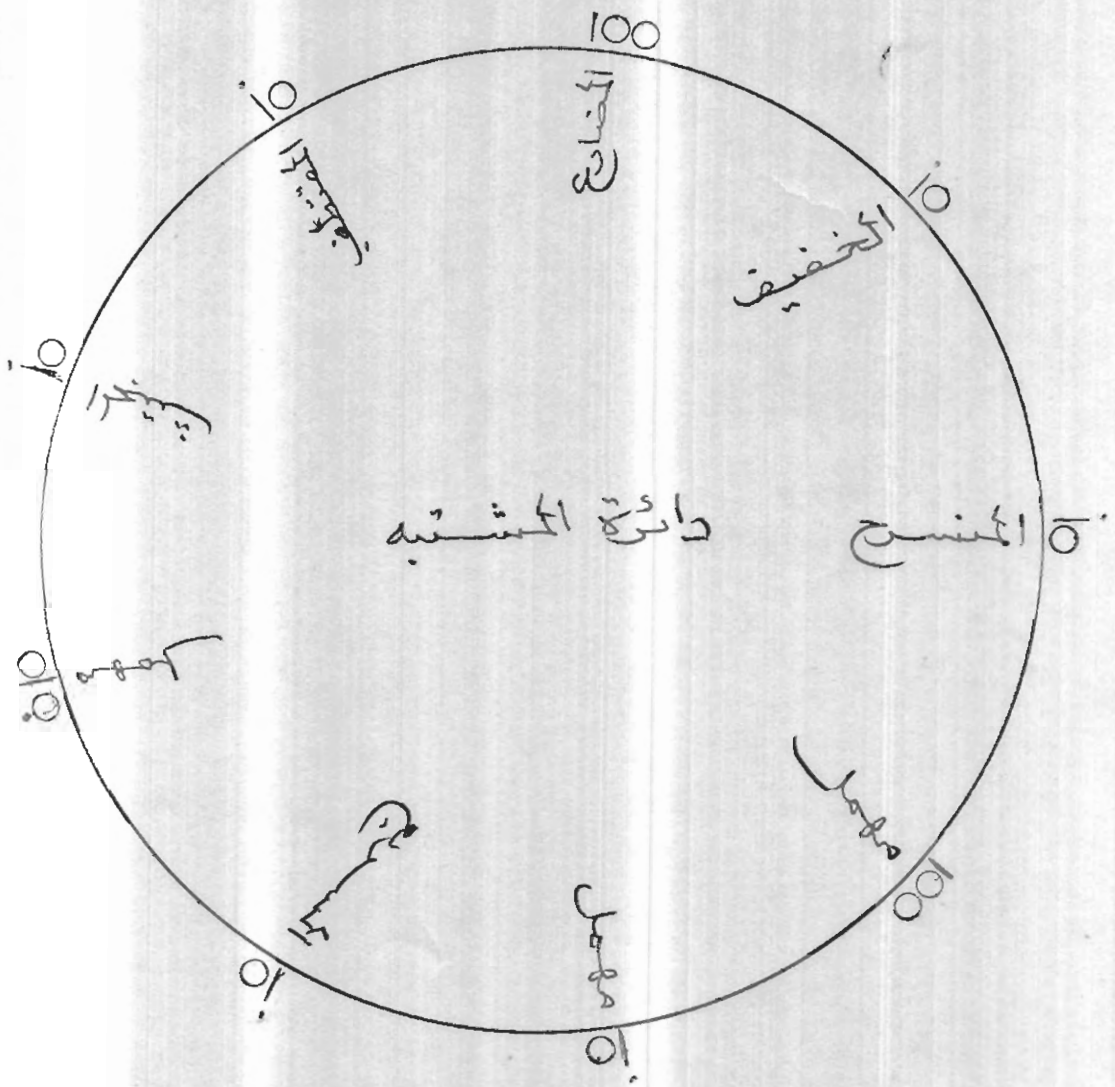

وتشتمل على ستة أبحر مستعملة وثلاثة أبحر مهملة .
البحور المستعملة هى : السريع ، المنسرح ، الخفيف ، المضارع ، المقتضب ، المجتث .

الدائـــــرة الخامســـــة

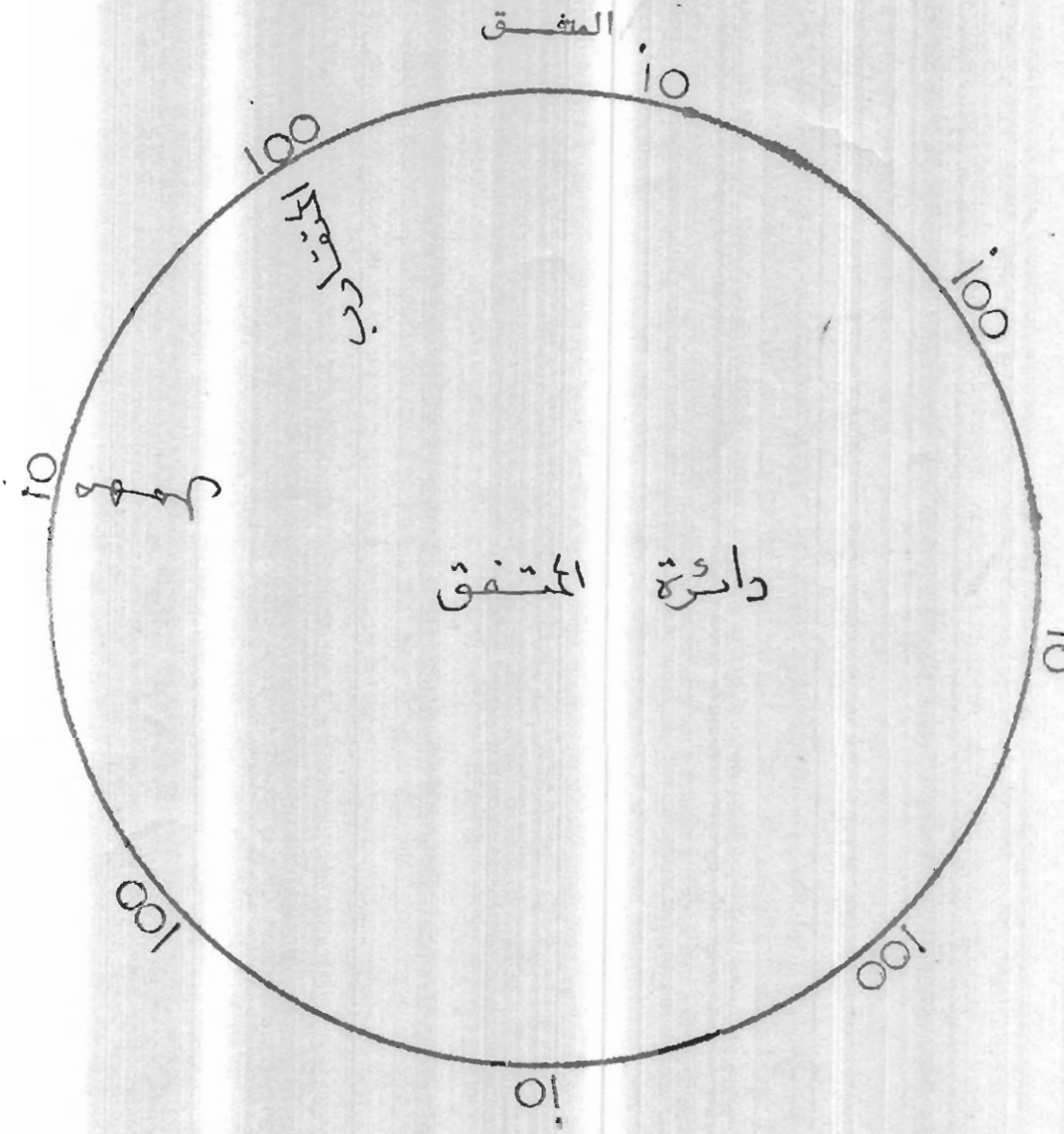

وتشتمل على بحر واحد مستعمل هو المتقارب وبحر مهمـــــل يتفق عـــله •

ويقول فى شرحها فى أرجوزته :

دوائر تحيا على ذهن الحذق
خمس عليهن الخطوط والحلق
فما لها من الخطوط البائنة
دلائل على الحروف الساكنة
والحلقات المتجوفات
علامة على المتحركات
والنقط التى على الخطوط
علامة تعد للسقوط
والحلق التى عليها يقط
تسكن أحيانا وحينا تسقط
والنقط التى بأجوف الحلق
لمبتدأ السطور منها يخترق(١)

وهذا ما تميز به ابن عبد ربه فى رسمه لهذه الدوائر وهو أنه لم يكتف بالاشارة للمتحركات والسواكن التى تتركب منها الاجزاء والبحور بل ذهب الى بيان العلل والزحافات التى قد تطرأ على هذه الاجزاء وهى النقط الموضوعة على الرموز وقد أفردنا لهذه العلل وللزحافات فصلا .

---

(١) العقد الفريد جـ ٥ ص ٤٣ .

الفصل الأوّل

أجناس العروض والدائرة

فكـــرة انشـــاء الدائـــرة :

حصر الخليل أجناس الاوزان فجعلها ثمانيـة وكل جـــزء من هذه الاجزاء يتكون من أسباب وأوتاد فبدأ بتقليب هـــذه الاجزاء على أسبابها وأوتادها واستخرج بعضها من بعض فالجزء " مفاعيلن " مثلا اذا تأخر وتـده المجموع صار " عيلن مفا " وهى " مستفعلن" واذا تأخر السبب الخفيف " عـي" صارت لن مفاعى وهـى فاعـلاتن فيكون قد استخرج جزئين من الاجـزاء العروضية من الجزء " مفاعيلن" ولعلنا نلاحظ أن هذه الفكـرة هى فكرة حصر الالفاظ التى بنى الخليل عليها كتاب العين يقول الخليل " وأعـلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين مثل " دقّ" " قدّ "" وشدّ ودشّ " والكلمة الثلاثية الصحيحة تتصرف على ستـــة أوجه تسمى مسدوسة نحو : ضرب وضبر ربض رضب برض بضـــر قال والكلمة الرباعـية تتصرف على أربعـة وعشرين وجها وذلـــك أن حروفها ضربت وهى أربعـة أحرف فى وجوه الثلاثى الصحيـــح وهى ستة فصارت أربعـة وعشرين وجها والكلمة الخماسية تتصرف عـلى مائة وعشرين وجها وذلك أن حروفها ضربت وهى خمسة فى وجـوه الرباعـى وهى أربعـة وعشرين فصارت مائة وعشرين)[1] وقـــال الازهرى فى شرح طريقة الخليل (وروى الليث بن المظفر فـــى

---

(١) العين ص ١٦ .

أول كتابه : هذا ما ألفه الخليل بن أحمد من حرف أ ب ت ث التى عليها مدار كلام العرب وألفاظها أراد بذلك أن يعرف جميع ماتكلمت به العرب فى أشعارها وأمثالها والا يشذ عنه منها شئ)[1] ويقول (وانما أراد الخليل رحمه الله أن حروف أ ب ت ث عليها مدار جميع كلام العرب وأنه لايخرج شئ منها عنها فأراد بما ألف منها معرفة جميع ماينفرع منها الى آخره وأن ما أسس ورسم بهذه الحروف يعرف به جميع ماهو من ألفاظهم اذا تتبع الا أنه تتبعه كله فحصله واستوفاه فاستوعبه)[2] وهى الفكرة التى جرى عليها الخليل فى انشاء الدائرة على أنه فى اللاجزاء العروضية تقوم الاسباب والاوتاد مقام الحروف فى الألفاظ فنحن فى الاجزاء العروضية نحصل على قول موزون لأننا نقل أسبابا وأوتادا يقول أبو نصر الفارابى (والأقاويل انما تكون موزونة اذا كانت لها فواصل والفواصل انما تحصل بوقفات تامة وذلك انما يكون بحروف ساكنة فلذلك يلزم أن تكون متحركات محدودة وأن تتناهى أبدا الى ساكن فنسبة وزن القول الى الحروف نسبة الايقاع المفصل الى النغم فان الايقاع المفصّل هو نقلة منتظمة على النغم ذوات فواصل ووزن الشعر نقلة منتظمة على الحروف ذات فواصل)[3] والفواصل عند الفارابى الاسباب والأوتاد وعنده

---

(١) التهذيب ص ٤٩ طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٣٨٤هـ .

(٢) نفسه ص ٥٠ .

(٣) الموسيقى الكبير ص ١٠٨٥ .

أن القول الموزون هو مايلتهى بساكن فالسبب الخفيف والوتد المجموع يلتهيان بساكن اذن فهى وحدة موسيقية وتقول فيما يلتهى بمتحرك كالوتد المفروق : (والحروف المتحركة اذا مدت حركاتها أدنى مد أو قربت حركاتها بعبرات أو هى خفيفة كانت قريبة من سبب خفيف ومتى توالت متحركات وتناهت الى متحرك ووقف عليه فانّه ربما جعل المتحرك الاخير ممدودا أدنى مد فيقوم ذلك مقام سبب خفيف) (١) فهذه الفواصل وهى مجموعة الاسباب والأوتاد هى وحدات موسيقية ويتكون منها الجزء العروضى وهو قول موزون فاذا قلبت الاسباب والأوتاد هذه وهى موزونة على حدّ قوله تتكون منها أقوال موزونة وفى اللغة تتكون الالفاظ من أحرف لذلك لاتفضى بنا الى القول الموزون .

وتتضح هنا فكرة الحصر فاذا كان لدينا جزء من أجزاء العروض وهو يتكون من مجموعة أسباب وأوتاد وقلب هذا الجلس على وجوهه استخرج منه كلّ مايمكن استخراجه من التفاعيل ولابدّ من تحريك الأسباب والأوتاد وعدم المساس بالحروف والاخرج بهذا عن أن يؤدى أقوالا موزونة كما فعل ابن القطاع فى كتابه (البارع) حيث تجاوز الاسباب والاوتاد وتناول الحروف بالنقل

---

(١) الموسيقى الكبير ص ١٠٨٥ .

فنتج عن هذا زيادة عدد المهملات لأنّه قد فصل بين الأسباب والأوتاد فاذا أراد فك دائرة المختلف وهى :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

أخر الفاء عن فعولن فصارت :

مفعول مفعولات مفعول مفعولاتُ

مفعول مفعولات مفعول مفعولاتُ

وهو بحر مهمل ويقول فى حديثه عن المهملات التى استخرجها من هذه الدوائر : (ولم يذكرها أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين وفعلت فى استخراجها فعل الخليل وليس له غير السبق)(١) وانما خرج الى هذه المهملات ـ وجلّها يلتهى بمتحرك ـ لأنه فرق أجزاء الأوتاد والأسباب • ومحاولة ابن القطاع هذه تقرّب فكرة الربط بين المنهج اللغوى الذى نهجه الخليل ومنهجه فى علم العروض وأن الهدف من الفكرة المشتركة هى ارادة الحصر يقول الزمخشرى : (ثم انّ من تعاطى التصنيف فى العروض من أهل هذا المذهب فليس غرضه الذى يؤمه أن يحصر الاوزان التى ان بنى الشعر على غيرها لم يكن شعرا انما الغرض حصر الاوزان التى قالت عليها العرب أشعارها)(٢)

---

(١) البارع لابن القطاع ص ٨ •

(٢) القسطاس المستقيم ص ٤٧ •

وللربط بين المنهجين عند الخليل جوانب أخرى عديدة فمما يلاحظ أن الخليل قد اختار الفاء والعين واللام للاجزاء العروضية وهى عينها التى اختارها للألفاظ والأوزان الصرفية .

اذن فالخليل لمّا حدد أجناس العروضة الثمانية رأى أنّه يستطيع أن يستخرج بعضها من بعض بتقليب الأسباب والأوتاد فمن الجزء (مفاعيلن) يستخرج جزئين (مستفعلن) و (فاعلاتن) والأجزاء الثلاثة تتكون من مجموعات الأسباب والأوتاد ومن هنا تبرز فكرة الدائرة فاذا أخذنا (الهزج) وقلبنا أسبابه وأوتاده خرج علينا الرمل والرجز فاستغنى الخليل عن أن يجعلهما دائرة وجعل الثلاثة دائرة واحدة أصلها (مفاعيلن) ثمّ أخذ (مفاعلتن) فاستخرج منها (متفاعلن) فصارت دائرة تضم بحرين وبقيت (فعولن) فاضطرّ لأن يجعل (المتقارب) دائرة وحده اذ لم يستطع اخراجه من الدوائر الاخرى وهذا فى البحور البسائط ولو بقى أى بحر من البحور البسائط لم تضمه هذه الدوائر لزاد عدد الدوائر ، أمّا البحور المركبة فمزج فيها بين جزئين فأزوج بين (فعولن) و(مفاعيلن) وجعلهما دائرة فاستخرج منها البسيط والمديد ثمّ اختار :
مستفعلن مستفعلن مفعولات فاستخرج منها السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث والدليل على هذا أنّه خرج الى بحور مهملة لم تقل عليها العرب كما خرج به الامر فى تقليب الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى فهو عند تقليبه الاسباب والأوتاد فى جنس معين يعرف أنّه لابدّ أن يعود للجزء الذى بدأ به

متفاعلن متفاعلن متفاعلـــن

متفاعلن متفاعلن متفاعـلن

فاذا أخرنا السبب الثقيل صـــارت :

فاعـلاتك فاعـلاتـــك فاعـلاتـك

فاعـلاتـك فاعـلاتـك فاعـلاتـــك

وهو من المهملات واذا أخرنا السبب الخفيف رجعنا الى الوافر ضـرورة ويمكن أن يكون أى جزء من الاجزاء هو مبتدأ الدائرة فيمكن أن يكون (متفاعلن) هو أصل الدائرة أو (مفاعلتن) كمـا يمكن أن تكون أى لفظة من الالفاظ فى الثانى والثلاثى والرباعى والخماسى هى الأصل الذى تبدأ به الكلمات وتقاس مهمـلات الاوزان على مهملات الألفاظ وسيأتى تفصيل ذلك .

وجوه الخلاف فى الاجزاء العروضية والدوائر :

قال ابن رشيق : (فأوّل من ألّف الأوزان وجمع الاعاريـض الخليل بن أحمـد ثم ألّف الناس بعده على قدر استنباطهـم حتى وصل الامر الى اسماعيل بن حماد الجوهرى [1] والى مذهبـه

(١) قال ياقوت هو اسماعيل بن حماد الجوهرى المتوفى عام ٤٥٣هـ وله من التصانيف كتاب عروض الورقة وهو كتاب جيد بالغ . ج ٦ صـ ١٥٣ .

يذهب حذاق أهل الوقت فأوّل ماخالف فيه الخليل أن جعل الخليل الأوزان التى يوزن بها الشعر ثمانية منها اثنان خماسيان وهما (فعولن) و(فاعلن) وستة سباعية هى (مفاعيلن) و(فاعلاتن) و(مستفعلن) و(مفاعلتن) و(مفاعلتن) و(مفعولات) فنقص الجوهرى منها الجزء (مفعولات) وأقام الدليل على أنّه منقول من (مستفعلن) مفروق الوتد أى مقدم النون على اللام لأنه زعم أنّه لو كان جزءا صحيحا لتركب منه بحر كما تركّب من سائر الاجزاء).(١)

ومفعولات تدخل ثلاثة أبحر: (السريع) و (المنسرح) و (المقتضب) فكان على الجوهرى أن يبيّن البديل لها عند حذفها فى هذه البحور الثلاثة لذلك فهو يقول و(السريع) من (البسيط) و(المنسرح) و(المقتضب) من الرجز و(المجتث) من (الخفيف) لأنّ كلّ بيت مركب من (مستفعلن) فهو عنده من الرجز طال أو قصر وكلّ بيت مركب من (مستفعلن فاعلن) فهو من البسيط طال أو قصر)(٢)

فاذا وقعت (مفعولات) فى أىّ من الأبحر الثلاثة فهى عنده من (مستفعلن) مفروق الوتد أى (مستفعلُ) فقدم النون الساكنة على اللام المتحركة وهى (مفعولات) ولكن (مفعولات) لايستغنى عنها فى دائرة (المشتبه) عند الخليل فالوتد المفروق فى (مفعولاتُ) ينتقل من بحر الى بحر فى الدائرة فتظهر فى كلّ من السريع والمنسرح والمقتضب فوجودها فى الدائرة ضربة لازب ولكن الجوهرى يرفض نظام الدائرة عند الخليل وفى مذهبه فى تركيب الاوزان يقول :

---

(١) العمدة جـ١ ص ١٣٥ .

(٢) نفسه ص ١٣٧ .

سبعة منها مفردات وخمسة مركبات فأولها المتقارب ثم الهزج والطويل بينهما مركب منهما ثم بعد الهزج الرمل والمضارع بينهما ثم بعد الرمل الرجز والخفيف بينهما ثم بعد الرجز المتدارك والبسيط بينهما ثم بعد المتدارك/ المديد مركب منه ومن الرمل قال ثم الوافر والكامل لم يتركب منهما بحر لما فيهما من الفاصلة) (١) فالجوهرى مادام قد رفض نظام الدائرة فمفعولات عنده ساقطة وانّما تبرز أهميتها فى استخراج البحور من دائرة (المشتبه) ولكى يبرز وجود (مفعولات) فى المنسرح أو السريع يقول هى (مستفعلن) مفروق الوتد ويربط الزمخشرى بين الجزئين (مفعولات) و (مستفعلن) ويقول إنّ هذين الجزئين كادا يكونان متماثلين يقول الزمخشرى : (فمفعولات وان فارق سائر الاجزاء فى أنّه لم يكرر وحده الاّ أنّه قد كرّ مع جزء لايكاد يباينه لذلك هو (مستفعلن) وذلك أنهما يشتركان فى تقديم السببين وتأخر الوتد الاّ أنّ وتد هذا مجموع ووتد ذاك مفروق وذهب حازم القرطاجنّى أيضا مذهبا حاول فيه أن يسقط (مفعولات) بأن يضع البحور التى ورد منها الجزء (مفعولات) فى صورة أخرى يقول (ومنها المقتضب وأصل بناء شطره :

فاعلن مفاعلتن فاعلن مفاعلتن . الاّ أن هذا ثقل لكثرة الأوتاد فيه والأسباب الثقيلة ووقوعها فى النهايات وهذا مستثقل فلهذا لم يستعملوه الاّ منصوفا أى محذوف النصف والدليل يقوم على أنّهم لم يوقعوا الوتد المفروق والسبب الثقيل فى نهاية جزء خماسى ولا سباعى)(٢) فحازم القرطاجنى يجعل صورة المقتضب :

---

(١) العمدة جـ ١ ص ١٣٥ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الادباء ص ٢٣٤ تونس ١٩٦٦ .

الجوهرى فى (الصحاح) مذهبا مغايرا لمذهب الخليل فرتّب المواد على حروف المعجم باعتبار آخر الكلمة بدلا من أوّلها ثم النظر فى ترتيب حروف الهجاء عند ترتيب الفصول وسمّى الأول بابا والثانى فصلا فاذا أراد باحث أن يبحث عن كلمة (حبب) لزمه أن ينظر الى آخر الكلمة أولا وهو الباء ثم الذى يليه الى انقضاء الكلمة واقتصر فى ذلك على ذكر المستعمل دون المهمل وهذا ماذهب اليه فى تصريف الاوزان فقد اقتصر على ذكر مستعملاتها دون مهملاتها تجنبا لطريقة الخليل بن أحمد وكما ذكر ابن رشيق فقد زعم الجوهرى أنّ الخليل انّما أراد بكثرة الألقاب الشرح والتقريب(١). ولكن لا لبس أن الجوهرى قد بنى فكرته فى الصّحاح وفى العروض على ماصنّفه الخليل واستفاد من مذهب الخليل لأنّ الخليل سابق له . وقد بنى كتابه على كتاب العين .

وقد ذهب جار اللّه الزمخشرى مذهبا قريبا من مذهب الجوهرى فى استخراج البحور من أجزاء العروض يقول : (وقد سلكوا فى تركيب بحور الشعر من هذه الأجزاء الثمانية أربع طرق أحدها أنهم كرروا الجزء الواحد بعينه كما هو من غير أن يصحبوه غيره وذلك فى جميعها ماخلا واحدا هو (مفعولات) والثانى أنهم أزوجوا بين بحرين كأنّ كلّ واحد منهما هو الاخر وذلك ازواجهم بين (مستفعلن) و(مفعولات) لأنّهما على نسق واحد فى تقديم السببين وتأخر الوتد لا فرق بينهما الاّ أنّ وتد هذا مجموع ووتد ذلك مفروق وهذا بمنزلة تكريرهم الجزء

---

(١) العمدة جـ١ ص ١٣٦ .

الواحد فمفعولات وان فارق سائر الأجزاء فى أنّه لم يكرر وحده فقد كرر مع جزء لايكاد يبايله هو (مستفعلن) والثالث أنّهم أزّوجوا بين سباعى وخماسى لو حذف من السباعى ماطال به الخماسى لم يتبايا فى الوزن وذلك ازواجهم بين (فعولن) و (مفاعيلن) ألا ترى أنك لو حذفت (لن) من مفاعيلن وجدت مفاعى جاريا على (فعولن) والرابع أنّهم أزوجوا بين سباعيين لو رددتهما الى الخماسى بحذف سبب من كلّ واحد منهما توازنا وذلك ازواجهم بين (فاعلاتن)و(مستفعلن) لأنّك لو حذفت (تن) من (فاعلاتن) و(مس) من (مستفعلن) بقى (فاعلا) و (تفعلن) متوازيين). (١) فالزمخشرى قد بيّن كيفية استخراج البحور البسيطة والمركبة من أجزاء العروض فبيّن تركيب البحور البسائط وحاول الربط بين الأجزاء المختلفة فى البحور المركبة فبيّن الصلة بين (فعولن) و (مفاعيلن) و (فاعلاتن) و (مستفعلن) و (مفعولات) ولعلّ هذا يشير الى أن الاجزاء المختلفة بين البحور المركبة يقع بينها التآلف وهى أنّها تشترك فى الجزء الذى تبدأ به فاذا أخذنا (فعولن) و (مفاعيلن) فى الطويل نجد أنّ كلّ واحدة منهما بوتد مجموع وفى السريع نجد أن (مستفعلن) و (فاعلن) تبدآن بسبب خفيف وكذلك (مستفعلن) و (مفعولات) فى السريع والمنسرح و (مستفعلن) و (فاعلاتن) فى الخفيف . وهذه الصلة المفترضة بين الاجزاء المختلفة نجد اشارة لها عند الفارابى حيث يقول (والأقاويل الموزونة منها ماهو بسيط الوزن ومنها ماهو مركّب الوزن والبسيط ماقدر بوزن واحد فقط والمركب ماقدر بوزنين والجزء الصغير من كل قول موزون ماحصر بمقدار أحد

---

(١) القسطاس ص ٨ .

اللذين + يكتنفان فاصلة الايقاع الكبرى فانّ هذا المقدار هو جزء ناقص من كل قول موزون وأمثال هذه الاجزاء هى التى تشوق النفس فيها أبدا الى أن تردف بجزء آخر ويردف ذلك أمّا بمساو له أو بغير مساو فان أردف بمساو فالمجموع من المتساويين هو جزء تام من البسائط أول تام وان أردف بغير مساو كانت جملة المجتمع منهما جزءا ناقصا فى المركبات) (١) فعنده أنّ كون الجزء المردف غير مساو لا يعنى أنّه غير مماثل بل أنّ اجتماع الجزءين المختلفين يؤدى الى قول موزون وهذه الصلة تبدو جلية فى كلّ البحور المركبة فلا يجتمع جزءان الاّ وهما يشتركان فى ماييتدأ به .

وممن ابتدع جديدا فى نظام الدائرة وخالف الخليل ابن القطاع الصقلى فى كتابه (البارع) وقد ذهب الخليل كما بيّنا الى تقليب الأسباب والأوتاد دون المساس بالاحرف فخالفه ابن القطاع اذ تناول الأحرف مفردة وقلّبها كما مرّ من التمثيل لذلك فكان أن استخرج سبعة وعشرين بحرا مهملا لهذه الطريقة فزعم أنه فعل فى ذلك فعل الخليل وقد كان الخليل يحرّك الأسباب والأوتاد على أنّها فواصل موسيقية تتناهى الى السواكن ولم يمس الأحرف المفردة لئلا يجزئ الأسباب والأوتاد وهذا ماخالفه فيه بن القطاع فتناول الأحرف المفردة فى الألفاظ حيث كان يهتم باللفظ دون النغم وتتبع ابن القطاع . منهج الخليل اللغوى تتبعا دقيقا ولم يفطن لنظرة الخليل فى تجلب

---

(١) الموسيقى الكبير ص ١٧٤ .

المساس بالأسباب والأوتاد خشية الاخلال بالايقاع والنغم .

يقول القزوينى فى انتقاد الدوائر العروضية أنّ الدوائر العروضية قد صنّفت البحور العروضية تصنيفا لم يرع فيه ماقد يكون فيها تشابه أو اختلاف فى الايقاع والموسيقى وقد تضم الدائرة الواحدة ما اختلفت أنغامه وايقاعاته أشدّ الاختلاف والعكس قد يحصل فنجد البحرين المتشابهين وكل منهما فى دائرة) (١)
ولا ريب أنّ قصد الخليل من انشاء الدائرة هو حصر وليس أن يؤلف بين البحور المتشابهة فيجعلها فى دائرة والمؤتلفة فيجعلها فى دائرة ولايمكن أن ننفى وجود المشابهة بين البحور التى تضمها الدائرة الواحدة فى مبناها فانّ كلّ بحر من البحور يتكون من نفس مجموعة الأسباب والأوتاد التى تتكون منها البحور الأخرى وان كان أصل الدائرة من البحور البسائط كانت سائر البحور فيها من البسائط وان كان من البحور المركبة كانت سائرها من البحور المركبة فهى تتألف فى المبنى لا فى المعنى وهذا النقد الذى وجّه للخليل يمكن أن يوجّه لابن القطاع والجوهرى والزمخشرى وكلهم بنى على ماابتناه الخليل .

---

(١) تحفة الخليل ص ٣٩ .

فاعلن مفاعلتن

فاعلن مفاعلتن

والسريع :

مستفعلن فاعلن مفاعلتن

مستفعلن فاعلن مفاعلتن

وذلك اجتنابا للمتحرك الذى يقع فى آخر التفاعيل أما السريع فلم يذكر الصورة التى وصفها له لأن (مفعولات) لم ترد فيه على صورتها الكاملة الاّ شذوذا واذا حاول حازم القرطاجنى اسقاط (مفعولات اجتنابا للانتهاء بالمتحرك فان تفاعيل أخرى كثيرة غير (مفعولات) تنتهى بالمتحرك عند دخول العلة والزحاف عليها ك (فعول) فى بحر الطويل وذكر ابن عبد ربّه أن القبض فيه حسن [١] و (مفاعيلن) فى الرجز يحسن كفّها فتصير (مفاعيل) يقول القزوينى : (وكفّ (مفاعيلن) فى الرجز كثير الوقوع حسن الوقع) . [٢] وربما صح قول الفارابى أنّ المتحرك ربّما مد أدنى مدّ فصار كالسبب الخفيف يقول الفارابى : (ومتى توالت متحركات وانتهت الى متحرك ووقف عليه فانّه ربما جعل المتحرك الاخير ممدودا أدنى مد أو مقرونا بلبرة فيقوم مقام سبب خفيف) [٣]

أما فى وجوه الخلاف فى الدائرة فقد مرّ مذهب الجوهرى فى استخراج الأوزان من بعضها ولابدّ هنا من الربط بين مذهب الجوهرى فى نقض مذهب الخليل فى العروض وبين منهجه فى اللغة فى كتابه (الصحاح) ونقضه لمنهج الخليل فى اللغة فى كتاب (العين) فقد ذهب

---

(١) العقد الفريد ج ٥ ص ٤٤٤ .

(٢) تحفة الخليل ص ١٩٠ طبع دار الكتب ١٩٦٧ .

(٣) [illegible]

الفصل الثامن

البحور المهملة

قال ابن منظور (أمر مهمل أى متروك والمهمل من الكلام غير المستعمل)[١] وإذا قسنا مذهب الخليل فى العروض على مذهبه فى اللغة فان مهملات البحور تقاس على مهملات الألفاظ ويقول الازهرى فى مهملات الألفاظ (وانما أراد الخليل أن يعرف جميع ما تكلمت به العرب وألاّ يشذ منها شىء)[٢] ويقول الازهرى وقد أشكل معنى هذا الكلام على كثير من الناس حتى توهم بعض المتحذلقين أن الخليل لم يف بما شرط لأنه أهمل فى كلام العرب ماوجد فى لغاتهم مستعملا وانما أراد الخليل رحمه الله أن حروف أ ب ت ث عليها مدار كلام جميع العرب وأنه لايخرج شىء منها عنه وأراد مما ألّف منها معرفة جميع مايتفرع منها الى آخره وانما أسس ورسم بهذه الحروف يصرف به جميع ماهو فى ألفاظهم اذا تتبع[٣] فعند الخليل أن كل لفظة من الالفاظ العربية لاتخرج عن كونها تتكون من حروف العربية الثمانية والعشرين وعلى هذا قاسوا الاوزان ، وكل بحر من البحور العربية لايخرج عن كونه مكونا من أجناس العروض الثمانية وأدى به تقليب الأجناس على أسبابها وأوتادها الى هذه البحور المهملة يقول القزوينى أن الدوائر بنظامها وطريقة فكها اضطرت الخليل أن يفترض لبعض البحور أصولا وهمية غير مستعملة فقد وجد المديد وهو من ستة أجزاء لا يتثنى فكه فى دائرته حتى يكون ثمانى الأجزاء)[٤] فالخليل عندما جعل رب دائرة المختلف ثمانى الاجزاء :

---

(١) لسان العرب مادة همل .

(٢) التهذيب ص ٤٩ .

(٣) نفسه ص ٥٠ .

(٣) تحفة الخليل ص ٤٠ .

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

كان كل ما استخرجه فى هذه الدوائر ثمانى الاجزاء وهى البسيط والمديد والبحران المهملان فقد اضطره نظام الدائرة أن يجعله ثمانى الاجزاء ومن ثم يمكن أن يرده الى أصله بان يذكر بأنه لم يستعمل الاّ مجزوءا ويقول القزوينى (ان بحض الدوائر تضمنت بحورا مهملة غير مألوفة ولا معروفة لم تنظم فيها القدامى قبل الخليل وانما فرضها نظام الدائرة فرضا لأن فى طبيعة الدوائر العروضية أن يفك عند كل وتد أو سبب فيها بحر من بحورها وهو الذى أفضى الى استخراج تلك البحور المهملة فى دائرة المختلف والمشتبه والمؤتلف) (١) فكأن تناول الخليل للأسباب والأوتاد هو الذى أفضى الى تلك البحور المهملة وكان يمكن للخليل أن يتجنب هذه البحور المهملة اذا تناول سببين معا فأخرهما أو تناول فاصلة فأخرها كما فى دائرة المؤتلف الوافر ووزنه :

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

---

(١) تحفة الخليل ص ٤٠ .

فاذا أخرنا الوتد المجموع صارت :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن

متفاعلن متفاعلن متفاعلن

فاذا أخرنا السبب الثقيل (مُتَ) صارت :

فاعلاتك فاعلاتك فاعلاتك

فاعلاتك فاعلاتك فاعلاتك

وهو بحر مهمل ويمكننا أن نتجنب هذا المهمل اذا تناولنا الفاصلة الصغرى فى (متفاعلن) وهى (متفا) فأخرناها فنرجع الى :

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

وهو الوافر من غير أن نمر على البحر المهمل لأنه حرك الفاصلة كلها وهى تتكون من سبب ثقيل وسبب خفيف وقد ذهب الزمخشرى الى هذا حيث يقول (ثم ان هذه البحور ينفك بعضها من بعض ومثال ذلك اذا عمدت الى الوافر فزحلقت وتده الواقع فى صدر البيت الى عجزه فقلت :

علتن مفا ـ علتن مفا ـ علتن مفا

وجدت الكامل قد انفك عن الوافر وكذلك لو زحلقت الفاصلة الأولى من الكامل الى العجز فقلت :

علن متفا ـ علن متفا ـ علن متفا

وجدت الوافر ملفكا عن الكامل) [١] ولم يتعرض الزمخشرى الى المهمل الذى تضمه هذه الدوائر وقد تخلص منه بتناول الفاصلة فى كاملها ولم يمل الى تفريخ السببين الذين يكوّنان الفاصلة ولو تناول الحروف لزاد عدد المهملات كما فعل ابن القطاع فذكر فى هذه الدوائر نفسها ثلاث مهملات قال (وقد أهملت العرب من الدائرة الثانية ثلاثة أبنية أولها بناء على :

مفتعلات مفتعلات مفتعلات

مفتعلات مفتعلات مفتعلات

وثانيها بناء على :

فاعلاتك فاعلاتك فاعلاتك

فاعلاتك فاعلاتك فاعلاتك

وثالثها بناء على :

مفاعلات مفاعلات مفاعلات

مفاعلات مفاعلات مفاعلات [٢]

وهى عين الدائرة التى تخلص فيها الزمخشرى من البحر المهمل لتناول الفاصلة كلها غير السبب الثقيل .

---

(١) القسطاس ص ١٢ .

(٢) البارع ص ٤٠ .

وممن أنكر على الخليل البحور المهملة اسماعيل بن حماد الجوهرى الذى ذهب الى ابتداع نظام فى الدائرة تخلص فيه من البحور المهملة وقد مر تفصيل ذلك .

وذهب ابن القطاع مذهبا مختلفا فاستخرج سبعة وعشرين بحرا مهملا يقول ابن القطاع (وقد أهملت العرب من الدوائر الخمس سبعة وعشرين بناء . أهملت من الدائرة الأولى خمسة أبنية :

١ـ بناء على مفاعيلن فعولن ثمانية مرات شاهده :

لقد أبدت سليمى غداة الجذع وجها
كبدر التم حسنا وضوء الشمس نورا

٢ـ وبناء على مفعولات فعول ثمانية أجزاء شاهده :

مابالديار من حاجز لما نزلنا بـ
ها كالمها ترتعى بين الخرد العين

٣ـ وبناء على مفعول مفعولات ثمانية أجزاء وشاهده :

ان الغزال الاغيد الجيد أضنى مهجتى باهتزاز الجيد لما انهال .

٤ـ وبناء على فاعلن فاعلات :

قد رمتنى سليمى بسهام الجفون
ثم قالت دعوه فالسما كان دونى

٥ـ وأهملت مجزوء الطويل

لعمرى لقد نادا سويد أخاه فلم يسمع نداه

وأهملت من الدائرة الثانية ثلاثة أبنية :

١ــ بناء على مفتعلات ستة شاهده :

ماولدتنى النجباء مــن مضــر

اذا حمى الوطيس ولم انا نزاك

٢ــ بناء على مفاعــلاتك ستة أجزاء شاهده :

مالقيت من الجاذر بالجزيرة

اذ رمين باسهم جرحن فوءادى

٣ــ وبناء على مفاعــلات ستة شاهده :

وماعناء فتى يجود بكل ماملكت يداه وليس يبخل بالنوال .

وأهملت من الدائرة الثالثة (المجتلب) ثلاثة أبنية :

١ــ بناء على فاعلاتن ستة أجزاء شاهده :

مالقلبى لايبالى بمــلام

فى سليمى لا ولايعطى القياده

٢ــ وبناء على مفعولات ستة وشاهده :

قالت جارتى لما رأت وشك النوى

فى القلب منى مثل لفح النــــار

٣ــ بناء هو أصل دائرة الهزج شاهده :

بنفسى من اذا يبدو رأيت البدر

فى التمّ على غصن من البـــان

وأهملت من الدائرة الرابعة(المشتبه) أربعــة عشر :

١ــ بناء هو أصل دائرة السريع شاهده :

ماهذا الغرام الذى تشكو لنا بالمقبــول •

٢ــ وأهملت بناء هو أصل دائرة المنسرح :

مابال عينى كالقطر فى جوده

ان ذكر وكالوابل المسبـــــل

٣ــ بناء هو مجزوء المنسرح :

انّ الغزال الأغـيد لايرعـوى اذ لمـــاه

٤ــ ومنها شطره :

انّ الذى لمــاه لم يقبل

٥ــ بناء هو أصل دائرة (المضــارع) :

اذا ماس القضيب على دعصل النقا المنهال للركام سبى عقلى •

٦ــ ومنها بناء على فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن ستة أجزاء شاهده :

مالسلمى فى البرايا من مشية

لا ولا البدر المنير المستكمـــــل

٧ــ ومنها بناء مفاعيلن مفاعيلن فاعــلاتن سته أجزاء شاهده :

لقد ناديت أقواما حين خابوا

ومابالسمع من وقر لو أجابـــــوا

٨ــ ومنها بناء عــلى :

فاعــلاتن مفاعــيلن مفاعــيلن ستة أجزاء شاهده :

مالسعدى اذا ما أبصرتنى أبدتك وداً وان لم ترنى تشقى •

٩ــ ومنها أصل دائرة المقتضب شاهده :

مفعولات مستفعلن مستفعلن :

وبالدار من مخبر لما نزلنا

لستخبر الدار عن سكانهـــــا •

١٠ـ ومنها مجزوء على التمام مثاله :

مامن جاد عن قلة

مثل الجائد المكثر

١١ـ ومنها أصل دائرة المجتث شاهده :

يالائمي دع ملامي والعتابا

ليس الملام الممض لي صوابا

١٢ـ ومنها بناء على مفاعيل مفعولات مفعولاتن :

اذا مارأتني أنكرتني بعد الذي كان منّا في قديم الدهر .

١٣ـ ومنها بناء على مفعولات مفعولات مفعولات مثاله :

قد أضناك غزال الحيّ الاغيدّ

المياس والملح الطويل الباع .

١٤ـ وبناء على مفعولات مفعولاتن مفاعيل شاهده :

قد أسبلت دمعي في لوم جسمي على هجران هند والركب موقوف .

وأهملت من الدائرة الخامسة التي هي المتفق بناءين :

١ـ مجزوء المتقارب شاهده :

غزال رماني بسهم الجفون فشكّ الفؤادا .

٢ـ وأهملت بناء على مفعول ثمانية أجزاء شاهده :

أما خليلي فانّي عليه شفيق رفيق كثير المحاماة .

ويقول ابن القطاع عنها : (وهذه البحور التي ذكرتها لم ينظم عليها أحد من المتقدمين ولا المتأخرين وفاعلت في استخراجها فعل الخليل وليس له غير السبق) [1] .

---

(١) البارع . ص ٣٨ .

وقدأدخل ابن القطّاع فى مهملاته البحور التى لم تستعمل الاّ مجزوءة كالتّام من المديد والرّمل والسريع والمضارع والمقتضب والمجتث ، فأدرج أصولها فى المهملات ثم نظر الى البحور التى لم تستعمل مجزوءة كالطويل والمتقارب فأدرج مجزوءاتها فى المهملات ثم كان مساسه بالأسباب والأوتاد السبب فى زيادة عدد المهملات وهذا ماتجنبه الخليل فلم يحرّك الاّ سببا أو وتدا وكان هذا سببا فى انتهاء بعض المهملات بالمتحرك وهذا لم يقع الا نادرا فى بحور الخليل .

ويبدو من ظاهر كلام ابن القطّاع أنّ هذه المهملات لم ينظم عليها المتقدمون وانّما وضعها هو لينظم عليها الشعراء .

وقد حاول العروضيون أن يبرروا سبب اهمال كلّ بحر من البحور كما حاول اللغويون تبرير سبب اهمال ما أهمل من الالفاظ يقول ابن جنّى :

(أما اهمال ما أهمل مما تحتمله قسمة التركيب فى بعض الاصول المتصورة أو المستعملة فأمر متروك للاستثقال فمن ذلك مارفض استعماله لتقارب حروفه نحو صض وجّح وجكّ] (١) ويقول ابن فارس : (المهمل على ضربين ما لايجوز ائتلاف حروفه فى كلام العرب البتة وذلك كجيم توءلّف مع كاف أو كاف تقدم على جيم وكعين مع غين أو حاء مع هاء أو غيره ، وهذا وما أشبهه لايئتلف والضرب الآخر مايجوز تألف حروفه ولكن العرب لم تقل عليه وذلك كارادة مريد أن يقول عضخ فهذا يجوز تألفه وليس بالنادر ألا تراهم قد قالوا فى الاحرف الثلاثة خضع ولكن العرب لم تقل عضخ).(٢)

---

(١) الخصائص ص ٥٤ .

(٢) الصاحبى ص ٥٤ .

ويقول السيوطي : (أعلم أن واضع اللغة لما أراد صوغها وترتيب أحوالها هجم بفكره على جميعها ورأى بعين تصوره وجوه جملها وتفاصيلها فعلم أنّه لابدّ من رفض ماشلع تأليفه فلفاه عن نفسه ولم يمزجه بشيء من لفظه). (٢)

وهذا هو القول فى اهمال ما أهمل من البحور مما تحتمله قسمة تركيب الأوزان يقول الخزرجى : (أعلم أنّ العرب أهملت بعض هذه البحور وغيرت الباقى عن حاله وأهملت ما أهملت من المهملات لاستثقالها لها فى الذوق وغيرت الباقى حتى عاد الى الاعتدال) (٢) وقال أحمد بن عبّاد (أعلم أنّ البحور على ثلاثة وأربعين بحرا قسم أنشدت عليه العرب وقسم استقلته فأهملته) (٣) وقال أبو الفرج الاصفهانى : فى ترجمة عبدالله بن السميدع البصرى أحد تلاميذ الخليل (وكان يقول أوزانا من العروض غريبة فى شعره ثم أخذ ذلك عنه ولحا لحوه وزين العروض فأتى منه ببدائع جمة وجعل أكثر شعره من هذا الجنس ولم يصلنا من شعره سوى قصيدة

---

(١) المزهر جا ص ٢٤٥ .

(٢) الدوائر العروضية ص ٦٧ مخطوط بدار الكتب ١٩ عروض .

(٣) القول الوافى ص ٣ مخطوط بدار الكتب ١٠ عروض .

واحدة احتفظ بها ياقوت فى معجمه أولها :

قرّبوا جمالهم للرحيل
غدوة أحبّتك الاقربوك •
خلّفوك ثم مضوا مدلجين
مفردا بهمك وماودعوك •

ويقول أبو الفرج واذا أنعمنا النظر فى هذه القصيدة وجدنا أنّها تجرى على وزن من أوزان الخليل المهملة على أنّه ينبغى أن تعرف أنّ هذه الاوزان المهملة لم تشح على ألسنة العباسيين وكأنهم أحسوا نقص أنغامها وايقاعها بالقياس الى الاوزان المستعملة (١)
ويقول الدمامينى : (وبعض الناس انكر الدوائر أصلا وقال انّا سمعناهم نطقوا بالمديد مسدسا وبالبسيط (فعلن) للعروض وبالوافر (فعولن) فى العروض والضرب وبالهزج والمقتضب والمجتث مربعات فمن أين لنا أن ندرك أن أصل عروض الطويل كان (مفاعيلن) بالياء وأن المديد كان ثمانية أجزاء وأنّ (فعلن) فى البسيط كان أصله (فاعلن) (٢) وقد كانت هذه البحور المهملة سببا للثورة على نظام الدائرة كما كانت الألفاظ المهملة سببا لثورة الجوهرى على منهج الخليل فى اللغة •

وقد أورد الدمامينى هذه البحور المهملة وحاول أن يذكر تعليلا لاهمال كل بحر من البحور يقول الدمامينى عن مهملات

---

(١) الأغانى ، دار المعارف المصرية ١٩٥١ جـ٦ ص ١٥٠ •
(٢) العيون ص ١٤ •

دائرة المختلف (وتشتمل هذه الدائرة على بحرين مهملين أحدهما وزنه مفاعيلن فعولن أربع مرات عكس الطويل ويسمّيه بعضهم المستطيل وحكى عن الخليل أنّ العرب لم تستعمله وانّ السبب فى اهماله مايلزم من وقوع سببين بين وتدين فى أوله فلا يمكن زحافهما واعترض بأنّ هذه العلة لو صحت للزم اهمال الهزج والمضارع والمقتضب لأن كلاّ منهما مبنى على سببين بين وتدين فلا يمكن زحافهما فأجيب بأنه لايمكن فى تأليفهما الاّ ذلك اذ لاخماسى فيها بخلاف ذلك لأنّ فيه خماسيا فيخرج من المحذور بتقديمه والأشبه ماقاله الزّجاج :
ومفاعيلن لو وقع أوله لجاز حزفه لأن أوله وتد مجموع ويلزم أن يقع الحزم فى جزء أصله أن يقع فى ذلك اللفظ فى حشو البيت ولا نظير له واعترضه أبو الحكم بأنّ هذا لو صحّ لما وقع الحزم فى مفاعيلن فى الهزج لوقوعها فى الطويل حشوا لكن قد وقع فيها فدلّ على عدم اعتبار هذه العلة) (١)
ويقول الحضاوى : (وقد أهمل هذا البحر لئلا يختلط ببحر الهزج)(٢)
والارجح الحمل على قول الحضاوى (وقد حكوا للهزج عروضا محذوفة مثل ضربها وأنشد : (٣)

سقاها الله غيثا من الوسمّى ريّا .

فتكون حينئذ على :

مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن

فيتكون هذا من مجزوء مقلوب الطويل المهمل فحكم الدمامينى بشذوذه فقال فهذا فى غاية الشذوذ) (٤) فلعلّ هذا يبرر اهمال مقلوب

---

(١) العيون ص ١٦ .
(٢) رفع الستائر عن مهملات الدوائر ص ٥٧ مخطوط بمكتبة الازهر(٤) ١٩٤٥ .
(٣) العيون ص ٦٤ .
(٤) نفسه ص ٦٤ .

الطويـــل ولم ترد أشعار على هذا الضرب من أشعار القدمـــاء الاّ بعضا مما أورده الدماميني مـن نظم المولدين :

لقد هاج اشتياقي غـرير الطرف أحور
يدير الصدغ مسه على مسك وعـنبر (١)

أما المهمـل الثانـي فهو مقـلوب المـديد :

فاعـلن فاعـلاتن فاعـلن فاعـلاتن
فاعلن فاعـلاتن فاعـلن فاعـلاتـن

فلعل السبب في اهمال هذا البحر تقديم الجزء القصير (فاعـلن) على الطويل (فاعـلاتن) وفي سائر البحـور المركبـة نجـــد أن المقطع الطويل مقدم عـلى القصـير كما نجد في بحر البسيط :

مستفعلن فاعـلن مستفعلن فاعـلن
مستفعلن فاعـلن مستفعلن فاعـلن

وفي المديد :

فاعـلاتن فاعـلن فاعـلاتن فاعـلن
فاعـلاتن فاعـلن فاعـلاتن فاعـلن

الاّ في بحر الطويل فقد قدم (فعولن) على (مفاعيلن) لأنّهـــا وان كانت اقصر من (مفاعيلن) وكان عـدد حروفها أقل الاّ أنهـــا أقوى من (مفاعـيلن) في جرسها والدليل عـلى ذلك أنّ (فعولـــن) من صيغ المبالغـة في علم الصرف ولم تستعمل صيغة من صيـــــغ

---

(١) العيون ص ١٤ .

المبالغة الا" لقوة جرسها فلذلك تقدمت على (مفاعيلن) •
أما الدائرة الثانية فهى دائرة المؤتلف ففيها بحر واحد مهمل هو :

فاعلاتك فاعلاتك فاعلاتك
فاعلاتك فاعلاتك فاعلاتك

ويمكن التخلص من هذا البحر المهمل بتحريك الفاصلة من متفاعلن بدلا من السبب الثقيل كما مرّ ويقول الدماميني فى علة اهماله (وقال الصفاقصى والبحر المهمل فى هذه الدائرة وزنه : فاعلاتك (ست مرات) • والسبب فى اهماله مايلزم عليه من المحذور وهو أما لزوم الوقف على المتحرك ان ترك الحرف الأخير على حاله من التحرك أو عدم تماثل أجزاء البيت ان سكن لأنه من دائرة المؤتلف وهى مبنية على تماثل الأجزاء قال وقد استعمله بعض المولدين وارتكب محذور عدم التماثل فقال :

مارأيت من الجآذر فى جزيرة
اذ رمين بأسهم جرحت فؤادى

قال ويقول الشريف إن السبب فى اهماله مايلزم عليه من تفريق السبب الثقيل من الخفيف وكلاهما كالصوت الواحد الذى لا تفرق أبعاضه (١) فكأن الشريف يرى وجوب تحريك الفاصلة الكبرى للتخلص من هذا المهمل •

---

(١) العيون ص ٨ •

والدائرة الرابعة هى دائرة المشتبه وفيها ثلاثة مهملات أول المهملات:

فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن

فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن

يقول الدماميني : (انّ سبب اطراحه مايلزم عليه لو تمّ من وقوع (مستفع لن) المفروقة الوتد فى العروض وهو مجتلب عندهم لأنّها عمدة والأسباب مع الوتد المفروق ضعيفة ولهذا لم يجئ السريع تاما وأقول ولو جزئ هذا البحر لالتبس بمجزوء الرمل) (١) ويكون التباسه ببحر الرمل اذا استعمل مقطوع العروض والضرب فيلتبس حينئذ ببحر الرمل المحذوف العروض والضرب ويكون كلاهما على هذه الصورة :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

والبحر المهمل الثانى فى هذه الدائرة هو :

مفاعيلن مفاعيلن فاع لاتن

مفاعيلن مفاعيلن فاع لاتن

وقال الدماميني : (وعلّل الزجّاج اطراحه مما تقدّم من أنه لو جزئ لالتبس بمجزوء الهزج) (٢)

---

(١) العيون ص ٨ .

(٢) نفسه ص ٢٠ .

ويصير كل منهما حينئذ :

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

البحر الثالث المهمل :

فاعلاتن مفاعيلن مفاعيلن

فاعلاتن مفاعيلن مفاعيلن

وقال الدماميني لاعلة لاطراحه الاّ عدم السماع) (١)

ولعلّ هذه العلة أبين العلل لأنّ كلّ البحور المهملة انّما بنى اهمالها على عدم السماع وحكم عليها كما حكم على المهملات من الالفاظ فما لم يرد منها فى أشعار العرب عدّ مهملا لأن العرب لم تقل عليه .

الدائرة الخامسة هى دائرة المتفق وربما هو (المتقارب) قال الصاحب (وبعضهم قد تعاطى الفكّ فأخرج (فاعلن) من (فعولن) بتقديم السبب على الوتد وسموه الخبب والمتسق وركض الخليل وقد يجيء فى الشعر المحدث (فعلن) و (فعلن) بقطع الوتد وأنشدوا :

أشجاك تشتت شعب الحى فأنت له أرق وصب) (٢)

وقال صفى الدين الحلّى (أصل المتدارك (فاعلن) ثمانى مرات وقد أخرج قوم من المتأخرين كأبى الحسن الاخفش هذا البحر

---

(١) العيون ص ٢٠

(٢) الاقناع ص ١١٢ .

من المتقارب مفكوكا منه بتقديم السبب على الوتد وانّما لم يثبته الخليل أمّا لعدم وجود بيت فى أشعارهم على هذا البحر أو لمخالفته أصوله اذ الأصل أنّ القطع مختص بالاعاريض والضروب وفى هذا البحر جاء القطع فى الحشو والمشهور أنّه سمّى بالمتدارك كأنه أخذ من التدارك وهو التلاحق وبعضهم سماه ركض الخليل من قوله ركضت الخيل برجلى كأنّه ركض المتقارب وبعضهم المتقاطر لتقاطر حركاته شيئا فشيئا وبعضهم صوت القاقوس وبعضهم المتراكب وبعضهم الخبب) (١)

والمتأمل فى جملة هذه الاسماء يجد أنها ذات مدلول واحد وهو أنها توحى بالسرعة فالجزء الخماسى (فاعلن) لم يحتمل أن يكون بحرا وحده لسرعته وقصره وانّما استعمل مع الجزئين السباعيين (مستفعلن) فى البسيط و (فاعلاتن) فى المديد واحتمل الجزء الخماسى فعولن أن يكون بحرا وحده لقوته بتقديم الوتد المجموع على السبب الخفيف اذ أنّه كان فى أبيات المضارع يقول ابن جنّى (عين الثلاثى اذا كانت متحركة والفاء قبلها كذلك فتوالت الحركتان حدث لتواليهما ضرب من الملال لهما فاستروح ههنا من السكون فصار مافى الثنائى من سرعة الانتقاض محيفا مأبيا فى الثلاثى) (٢)

---

(١) شرح أبيات أبى الجيش لصفى الدين ص ٧ مخطوط بدار الكتب وآش عروض .

(٢) الخصائص ج ١ ص ٥٦ .

وظاهر كلام ابن جنى أنّ الثلاثى المتحرك الفاء والعين الساكن اللام أقوى جرسا من الثنائى لما فى الثلاثى من توالى الحركتين والاسترواح بالسكون ولما فى الثنائى من سرعة النقض فما أن تأتى بحركة حتى تعترضها بالسكون والثلاثى كما ذكره هو بمنزلة الوتد المجموع والثنائى بمنزلة السبب الخفيف فحسن تقديم الاقوى على الاضعف ولم يحسن تقديم الاضعف وهو السبب الخفيف •

أما تسميته بالمتدارك على أن الاخفش قد تداركه على الخليل فلا يدل على أنّ الخليل كان يجهله اذ أنّ وقوع الخليل عليه فى دائرة المتفق ضربة لازب فلكى تكتمل الدائرة كان لابد من خروجه منها بتقديم السبب على الوتد •
وأظنّ أن الخليل قد ذكره فى المهملات وجاء الاخفش فأثبته فى البحور المهملة إمّا لأنّه وجد أن العرب قد قالت عليه شعرا وإمّا أنّه أثبته لكى تنظم عليه الشعراء وقد أثبت الخليل المضارع والمقتضب وأنكرهما الاخفش وزعم أنه لم يسمع منهم شئ على ذلك (١)

وربّما كان اثبات الخليل لهذين البحرين قائما على استحسانه لهما وأثبتهما لكى تنظم عليهما الشعراء •

وقد أورد القفطى فى أنباه الرواة قصيدتين للخليل فى المتدارك يقول القفطى : (وللخليل قصيدة على (فَعَلُنْ) ثلاثة متحركات وساكن :

---

(١) العيون ص ٧٤ •

سئلوا فأبوا فلقد بخلوا

فلبئس لعمرك ما فعلوا

وأخرى على (فعلن) :

هذا عمرو يستعفى من

زيد عند القضل القاضى

فان صحت نسبة هاتين القصيدتين للخليل [1] لم يصح أنّ الخليل قد أهمل هذا البحر ويكون تعليل ذلك أنّ الخليل قد أثبته أول الامر ونظم عليه ثم استهجنه بعد ذلك فاطرحه .

استعمال البحور المهملة :

ذهب الزمخشرى الى جواز النظم فى البحور المهملة وبينّ حجته قائلا: فصل أقدمه بين يدى الخوض فيما أنا بصدده فى بناء الشعر العربى على الوزن المخترع الخارج عن بحور شعر العرب يقدح فى كونه شعرا حتى يحام فيه على الوزن فى أوزانه والذى يلصر المذهب الاول أن حد الشعر لفظ موزون مقفى يدل على معنى فهذه أربعة أشياء اللفظ ، المعنى ، الوزن ، القافية فاللفظ وحده هو الذى يقع به الاختلاف بين العرب والعجم فأما الثلاثة الأخر فالأمر فيها على التساوى بين الأمم قاطبة ألا ترى أنا لو عملنا قصيدة على قافية لم يقف بها أحد من شعراء العرب ساغ ذلك مساغا لاشك فيه وكذلك لو اخترعنا معانى لم يسبقونا اليها لم

---

(١) أنباه الرواة ص ٤٢٣ .

يكن بنا بأس بل يعد ذلك من جملة المزايا وذلك لأن الأمم عن آخرها متساوقة الى المعانى والقوافى وكذلك الوزن يتساوى الناس فى معرفته والاحاطة بأن الشيئين اذا توازنا وليس لأحدهما رجحان على الآخر كان ذلك ككفتى الميزان . (١)

فالزمخشرى يرى أن استعمال المهملات جائز مادامت مستوفية لشروط حدّ الشعر العربى من لفظ ومعنى ووزن وقافية فليس النظم عليها بمحظور لديه وذهب ابن عبد ربه الى عدم جواز استعماله فقد قال بعد ذكر الاوزان المستعملة (٢)

هذا الذى جربه المجرب
من كل ماقالت عليه العرب
فكل شىء لم تقل عليه
فانا لم نلتفت اليه
ولا نقول غير ماقد قالوا
بأنه من قولنا محال
وأنه لو جاز فى الابيات
خلافها لجاز فى اللغات

فكأن ابن عبد ربه يقيس مهملات البحور على مهملات الالفاظ والعلة فى الحالتين عدم السماع وذهب الدمنهورى الى أنها ليست بشعر فقال:(ومراد المصنف (يعنى الصبّان) ان البحور التى

---

(١) القسطاس ص ٤ .
(٢) العقد الفريد الجزء ٥ ص ٤٤٠ .

نظم عليها المولدون أشعارهم فخرج بذلك الابحر المهملة فانه لم ينظم بها الاّ المولدون وحينئذ لايقال لها شعر كما تقدم في تعريف الشعر)[1] فكل الاشعار التي نظمت في المهملات كانت من نظم المولدين لأنهم لم ينظموا عليها الاّ بعد أن عرفوها أي أنهم استعانوا في نظمها بمعرفتهم بالعروض ويأبى ذلك ابن رشيق اذ يقول :(ولو أن الخليل رحمه الله وضع كتاب العروض ليتكلف الناس مافيه للزحاف ويجعلوه مثالا دون أن يعلموا أنها رخصة أتت بها العرب عند الضرورة لوجب أن يتكلف ماصنعه من الشعر مزاحفا ليدل بذلك على علمه وفضل مانحى اليه والى وجدت العمل بالعلم في كل أمر من أمور الدين أوفق الاّ في الشعر خاصةً فان عمله بالطبع دون العروض أجود)[2] فالمحدثون إنّما تكلفوا النظم على هذه الاوزان تكلفا ولم يعتمدوا فيها على الطبع ولم ينظم عليها العرب ولم يعرفوها حتى وقعت في دائرة الخليل فتكلفوا النظم فيها .

---

(١) الارشاد الشافي على متن الكافي طبعت بالمطبعة الشرقية بولاق ١٢٨٥ .

(٢) العمدة ص ١٥١ .

الفصل الثالث

شواذ البحور

يقول ابن جنى (وأما مواضع شذذ فى كلامهم فهو التفرق والتفرد من ذلك قوله :

يتركن شذّان الحصى جوافلا

أى ماتطاير وتهافت منه وشذّ الشىء يشذّ ويشذ شذوذا وأشذذته أيضا لاغير وأباها الاصمعى وقال لا أعرف الا شاذا وجمع شاذ شواذ وشذاذ قال :

كبعض مامرّ من الشذاذ

فجعل أهل علم العرب ما استمرّ من الكلام فى الاعراب وغيره من مواضع الصناعة مطردا وجعلوا مافارق ما عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك الى غيره شاذا)[1] فيكون على هذا القول ماجاء قليلا متفرقا فى كلامهم اعتبر شاذا ولو كان مطرد فى القياس أو واردا فى الاصول المتصورة للالفاظ (فقد يجوز استعمال اللفظ قياسا ويأباه الاستعمال فيترك يقول ابن جنى (وان شذ الشىء فى الاستعمال وقوى فى القياس كان استعمال ماكثر استعماله أولى، من ذلك ما التميمية هى أقوى قياسا وان كانت الحجازية أسير استعمالا وانما كانت التميمية أقوى قياسا من حيث كانت عندهم كهل فى دخولها على الكلام مباشرة على كل واحد من صدرى الجملتين الفعل والمبتدأ كما أن هل كذلك الا أنك اذا استعملت أنت شيئا من ذلك فالوجه أن تحمله على ماكثر استعماله وهو اللغة الحجازية ألا ترى أن القرآن بها نزل)[2] وكذلك القول فى الاوزان فما جاء قليلا متفرقا من أشعارهم اعتبر شاذا حتى ولو وافق القياس والاصول المتصورة للاوزان

---

(١) الخصائص ج ١ ص ١٠٠ .

(٢) نفسه ص ١٠٠ .

كبحر الهزج مثلا فصورته فى الدائرة :

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

ولكن لم يأت على هذه الصورة الا شاذا يقول الدماميني :[١]

وشذ مجيء الهزج تاما وأنشد بعضهم :

عفا ياصاح من سلمى مراعيها

فظلت مقلتي تجرى مآقيها

قال : وهذا كله شاذ والمسموع التزام الجزء وماجاء شاذا قليلا فى أشعار العرب تجنبه المولدون وتحاموه لأن العرب وهم أصحاب الصناعة تجنبوه يقول ابن جنّى : (فاذا كان الشيء مطردا فى القياس شاذا فى السماع تحاميت ماتحامت العرب من ذلك وجريت فى نظيره على الواجب فى أمثاله من ذلك امتناعك من وذر وودع لانهم لم يقولوهما ولا غرو عليك أن تستعمل نظيرهما وزن ووعد فأما قول أبى الاسود :

ليت شعرى عن خليلى ما الذى

غاله فى الحب حتى ودعه

فشاذ وكذلك قراءة بعضهم (ما ودعك ربك وما قلى) فهاتان الكلمتان شذتا فى السماع وان كان القياس لا يأباهما)[٢] ويقول السيوطى : (وليس البيت الشاذ والكلام المحفوظ بأدنى اسناد

---

(١) العيون ص ٦٢ .

(٢) الخصائص جـ ١ ص ١٠١ .

حجة على الاصل • وقال المبرد : البيت الشاذ ليس بحجة على الاصل المجمع عليه)• (١)

وانما يؤخذ من الابحر المشهور بين العرب ويلغى ماسوى ذلك على خلاف فى هذا فان ورد البيت شاذا قليلا فى كلام العرب علم أن طبعهم قد نبا عنه وأباه فالأولى اجتنابه ويقول صفى الدين الحلى:(العروض علم بأصول مستنبطة من استقراء أشعار العرب وموضوعه الأبحر المشهورة بينهم)(٢) فانما يقتصر على المشهور وكان هذا مذهب الاصمعى فى اللغة يقول السيوطى : (كان الاصمعى يقول أفصح اللغات ويلغى ماسواها وكان أبو زيد يجعل الشاذ والفصيح واحدا فيجير كل شىء قيل)• (٣)

وسنقتصر فى هذا الفصل على حصر شواذ الأوزان وعلة شذوذها ووجوه الخلاف فى ذلك جعل الأخفش الأوسط للطويل ضربا رابعا وروى عليه شعرا لامرئ القيس يقول أبو الحسن : (وقد يجوز فى هذا القياس تغيير الطويل اذا كان آخره (مفاعيلن) لأنه اذا قيّد جاء (مفاعيل) من (مفاعيلن) وقد جاء قال الشاعر:

كأن عتيقا من مهارة تغلب
بأيدى الرجال الدافنين ابن عقاب
وقد فرّ حصن هاربا وابن عامر
ومن كان يرجو أن يؤوب فما آب

---

(١) المزهر جـ ١ ص ٢٣٢ •
(٢) شرح أبيات أبى الجيش مخطوط ص ١ •
(٣) المزهر ص ٢٣٣ •

فهذا جائز وكان الخليل لايجيزه وأخبرنى من سمع قصيدة امرئ القيس هذه من العرب مختلفة قالوا فانما هى على التقييد :

أحلظل لو حاميتم وصبرتم
لأثليت خيرا صادقا ولأرضان
ثياب بنى عوف طهارى نقية
وأوجههم بيض المسافر غرّان (١)

ولايحمل هذا على (جحر ضب خرب) لأن ذلك ليس بقياس والتقييد فى هذه القصيدة قياس.(٢) وقوله لايحمل على (جحر ضب خرب) أى لايحمل على الغلط والشذوذ كما حمل قولهم (جحر ضب خرب) على الشذوذ ويقول ابن رشيق وهذا شى لم يذكره العروضيون وهو عندى مطلق محمول على الاقواء " (٣) وقال القاضى أبو يعلى وانما سوغ هذا للأخفش أنه وجد شعرا ينسب الى امرئ القيس فيه اقواء فأبى أن يجعل امرأ القيس يقوى وحمله على ماذكرت من زيادة ضروب الطويل) (٤)

وربما كان الوقف على السكون هاهنا فى أواخر الأبيات على بعض لغات العرب يقول سيبويه (هذا باب مايحذف من الاسماء فى الوقف التى لاتذهب فى الوصل ولايلحقها تنوين وتركها فى الوقف أقيس وأكثر

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٨٩ تحقيق محمد أبو الفضل طبع دار المعارف مصر ١٣٤٩هـ .
(٢) القوافى ص ٩٤ .
(٣) العمدة جـ ١ ص ١٤٨ .
(٤) القوافى ص ٢٧ .

لأنها ياء بعد كسرة ساكنة فى اسم وذلك قولك (هـذا غـلام) تريد غـلامى وقـد (أسقان) و (أسقـن) تريـد أسقانـى وأسقنى وقـد قرأ أبو عـمرو ربى أكرمـن وربى أهانن على الوقـف قال النابغة :

اذا حاولت فى أسد فجورا
فانى لست منك ولسـت مـن

يريد مـنى وقـال :

وهم وردوا الجفـار على تميم
وهم أصحاب يوم عـكاظ إن •

يريـد انى • سمعنا ذلك ممن يرويـه عن العرب الموثوق بعربيتهم)[1] فمن الارجح أن الياء سقطت من باب الوقف ولايعنى هذا أن الابيات قـد بنيت على السكون والا لأفضى بنا هذا الى ضرب رابع للطويـل لم تعرفه العرب ولافضى بنا بيت النابغة :

وهم أصحاب يـوم عـكاظ ان

الى ضرب من الوافر لم يذكره الخليل اذ يكون وزنـه :

مفاعـلتن مفاعـلتن فعـل

وكل الابيات التى مثل بها لهذا الضرب من الطويل انمـا كانت مما يطلق باقواء وانما كان فى تقييدها منجاة من الاقـواء فمن الاسلم حملها على الوقف لا على البناء والأصـل •

---

(١) الكتاب جـ٢ ص ٢٩ المطبعة الاميرية ببغداد ١٣١٦هـ •

ولم يجىء الطويل الأول مقيدا الا فى هذه الأبيات التى ذكرها الاخفش تمثلا لهذا الضرب من الطويل • ويقول أبو العلاء فى تقييد الطويل الأوّل (ولا يعلم شىء من الشعر القديم جاء فيه الطويل الأوّل مقيّدا الا جاء شاذا وذلك فى التمثيل كقوله :

كأنى لم أركب جوادا للذة
ولم أتبطن كاعبا زانها الخلخلْ
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل
لخيلى كرّى كرة بعد ما تخدلْ

فمثل هذا لم يأت فى الشعر القديم ولايوجد فى دواوين الفحول من أهل الاسلام الاّ أن يكون نادرا متكلفا) [1] واستحسن التقييد فى الطويل الثانى يقول أبو العلاء (واستحسن تقييد الطويل الثانى فاستعمل بكثرة كقول امرىء القيس :

لعمرك ماقلبى الى أهله بحر
ولا مخلصا يوما فيأتين بحر) [2]

وقد ذكر أبو العلاء فى رسالة الغفران بيتين من الشعر ذكر أنهما اذا بنيا على السكون كانا من طويل الاخفش يقول أبو العلاء (قال أبو الهدى :

سيغنى أبا الهدى عن وطب سالم
أباريق لم يعلق بها وضر الزبد
مقدّمة قزا كأنّ رقابها
رقاب بنات الماء أفزعها الرّعد

---

(١) مقدمة اللزوميات ص ٣٥ •
(٢) نفسه ص ٣٧ •

يقول (فان كان أبو الهدى ممن كتب وعرف حروف المعجم فقد أساء فى الاقواء وان كان بنى الأبيات على السكون فقد صحّ قول سعيد بن مسعدة فى أن الطويل من الشعر له أربعة أضرب)(١) وهذه الابيات وان بنيت على السكون ليست من طويل الاخفش اذ أنها غير مردفة والردف لازم لهذا الضرب يقول ابن رشيق فيما يلزمه الرّدف (أجمع حذاق أهل العلم من البصريين والكوفيين على أن كلّ وزن نقص من أبنائه حرف متحرك عوّض حرف المدّ واللين من ذلك الحرف ولم يجىء الا مردفا بواو أو ياء أو ألف واذا التقى فيه ساكنان ألزموه الرّدف)(٢) والردف لازم لهذا الوزن لأن ضربه (مفاعيل) وهو مشتق من (مفاعيلن) وقد نقص حرفا وحركة وهما بمنزلة الحرف المتحرك فيلزمه الرّدف ويلزمه أيضا لالتقاء الساكنين وعلى هذا لايكون هذان البيتان من طويل الاخفش .

يقول أبو العلاء " وقصيدة عبيد بن الابرص :

أقفر من أهله ملحوب

ليست موافقة لمذهب الخليل فى العروض " وقال ابن رشيق (ومن الزحاف ماهو قبيح مردود لاتقبل عليه النفس مثاله قصيدة عبيد ابن الابرص :

أقفر من أهله ملحوب

---

(١) رسالة الغفران ص ١٤٣ . طبع دار المعارف ١٣٨٨هـ .

(٢) العمدة جـ١ ص ١٤٥ .

وزنها مختلف وليست موافقة لمذهب الخليل في العروض [١] وضربها قدامة مثالا لقبح الوزن وفساده . [٢] ولحن إذ تستقرئ أبيات القصيدة تجد أن عبيدا قد جمع فيها بين ضروب مختلفة من مجزوء البسيط . وأعاريض مجزوء البسيط عروضان وضروبه أربعة [٣] العروض الأولى مجزوءة لها ثلاثة أضرب الأول مذال وزنه :

مستفعلن فاعلن مستفعلن

مستفعلن فاعلن مستفعلان

والثاني مجزوء مثلها ووزنه :

مستفعلن فاعلن مستفعلن

مستفعلن فاعلن مستفعلن

والضرب الثالث مقطوع وزنه :

مستفعلن فاعلن مستفعلن

مستفعلن فاعلن مفعولن

والعروض الثانية مقطوعة مخبولة ضربها مثلها :

مستفعلن فاعلن فعولن

مستفعلن فاعلن فعولن

---

(١) الفصول والغايات ص ١٣١ مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٦ هـ .

(٢) نقد الشعر ص ٦١ . طبع الخانجي والمثنى ببغداد ١٩٩٣هـ.

(٣) العقد جـ٥ ص ٤٤٨ .

ومثاله قصيدة الاعشى :[١]

ألم تروا ارما وعادا
أودى بها الليل والنهار
بادوا فلما أن تآدوا
قفى على اثرهم قدار
وقبلهم غالت المنايا
طسما ولم ينجها الحذار

أما عبيد بن الابرص فقد جمع فى قصيدته بين ضروب وأعاريض مختلفة من مجزوء البسيط فقوله :

أقفر من أهله ملحوب
فالقطبيات فالذنوب[٢] .

وزنه :

مفتعلن فاعلن مفعولن
مستفعلن فاعلن فعولن

فجاء بالعروض المقطوع والضرب المقطوع المخبون .

يقول الدمامينى : (لقد جاء فى مخلع البسيط (مفعولن) وكان (فعولن) وهو شاذ)[٣] وقوله :

---

(١) ديوان الأعشى ص ٧١ . طبع بيروت ـ لبنان ١٣٨٠هـ .
(٢) ديوان عبيد بن الابرص ، ص ٧ ، دار بيروت ١٣٧٧هـ .
(٣) العيون ص ٦٠ .

فراكس فثعيلبـــات

فذات فرقـين فالقليـــب

وزنه :

مفاعـلن فعلن فعولن

مفاعلـــن فاعـلن فعـــولن

فجاء بالعروض والضرب المقطوعـين المخبولين وقال :

أمّـا قتيلا وامّـا هالكا

والشيب شين لمن يشيـب

وزنـه :

مستفعلن فاعـلن مستفعلن

مستفعلن فاعـلن فعـولن

فجاء بالعروض على (مستفعلن) وبالضرب على (فعولن) وقال :

وكلّ ذى نعمة مخلـوس

وكلّ ذى أمل مكـــــــذوب

وزنـه :

مفاعـلن فاعـلن مفعولـن

مفاعـلن فعلـن مفعـــولن

فجاء بالعروض والضرب المقطوعـين فجمع بين أعاريض وضروب مجـــزوء البسيط المختلفة ، ثم قال :

أفلح بما شئت فقد يبلغ بال

ضعيف وقد يخدع الاريـــب

ووزنه :

مستفعلن مفتعلن مفتعلن

مفتعلن فاعلن فعولن

فجاء صدره من (الرجز) فخرج من مجزوء البسيط الى الرجز ولعلّ خروجه هنا مرتبط باتهامه فى غير موضع بالاخلال بالوزن يقول الدماميني : (١) (وأنشد الاصمعى وأبوعبيدة وابن دريد وابن قتيبة وغيرهم من كبار الائمة بيت عبيد بن الأبرص هكذا مكسورا :

هى الخمر تكنى الطلا

كما الذئب يكنى أبا جعدة

وقال أبو العلاء لمّا ذكر هذا البيت : (هكذا ينشدون البيت ناقصا) (٢) وقال أيضا :

وقد يخطىء الرأى امرؤ وهو حازم

كما اختلّ فى وزن القريض عبيد .

ولعلّ هذا يوافق الرواية التى تقول أن الشعر انّما أتى عبيدا على الكبر وقد ساق ابن كناسة هذه الرواية فى شرحه لديوان عبيد يقول :(٣) (انّ عبيدا كان رجلا مقلا لامال له فأقيل ذات يوم ومعه غنيمة له ومعه أخت له تدعى ماوية ليورد غنمه فمنعه رجل من مالك بن ثعلبة وجيهه فانطلق حزينا مهموما للذى صنع به المالكى حتى أتى شجرات فما ستظل تحتهن فنام فزعموا أنّ المالكى نظر اليه وأخته الى جنبه فقال :

---

(١) العيون ص ٨٣ .

(٢) الفصول والغايات ص ٤٤٧ .

١٩٣٨م.

(٣) مقدمة ديوان عبيد شرح ابن كناسة - ص٧ والاغانى جا ص٨١ .

ذاك عبيد قد أصاب ميا

ليته ألقحها صبيا

فحملت فولدت ضاويا

فسمعه عبيد فرفع يديه الى السماء ثم ابتهل فقال :

(اللهم انّ فلانا قد ظلمنى ورمانى بالبهتان فادلنى منه ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم ذاك يقول الشعر فزعموا أنه أتاه آت فى المنام بكبة من الشعر فألقاها فى فيه وقال : " قل مابدأ لك فأنت أشعر العرب وأمجد العرب فالتبه وهو يرتجز بيتى مالك وكان يقال لهم بنى الزّنية :

يابنى الزّنية ماغركم

لكم الويل بسربال حجر

وربما حمل هذا الشعر المختل على فساد الرواية كما ذهب أبو العلاء فى رسالة الغفران فجعل امرئ القيس يتهم الرواة بافساد شعره . (١)

ولم يقتصر الجمع بين ضروب مجزوء البسيط وأعاريضه على عبيد بن الأبرص اذ نهج امرؤ القيس نهجه فى لاميته : (٢)

عيناك دمعهما سجال

كأن شأنيهما أو شال .

---

(١) رسالة الغفران ص ١٢٨ .

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٤٩ .

وزنه :

مستفعلن فعلن فعولن

مفاعلن فاعلن مفعولن

فجاء بالعروض المخبون المقطوع مع الضرب المقطوع ، ثم قال :

أو جدول فى ظلال نخل

للماء من تحته مجال

ووزنه :

مستفعلن فاعلن فعولن

مستفعلن فاعلن فعولن

فجاء بالعروض والضرب المقطوعين والمخبونين ثم قال :

صاب عليه ريح صيّف

كأنّ قربانه الرحال .

وزنه :

مفتعلن فعلن مستفعلن

مفاعلن فاعلن فعولن

فجاء بالعروض الصحيحة والضرب المقطوع المخبون ففعل فعل عبيد الاّ أنّه لم يخرج عن مجزوء البسيط ، والقصيدتان على هذا من مجزوء البسيط وليس من مخلّع البسيط اذ أنّ مخلع البسيط وضربه؛ يقول الدمامينى : (وبيت الخبن فى العروض والضرب المقطوعين :

أصبحت والشيب قد علانى

يدعو حثيثا الى الخضاب

فقوله (علاني) هو العروض وقوله (خضابي) هو الضرب ووزن كل منهما (فعولن) وهذا هو المسمّى عندهم بالمخلع والمولدون التزموا الخبن في هذه العروض وضربها لحسنها وهو التزام غير لازم ويسمى هذا الوزن مخلعا)[1] وليس التزام الخبن في العروض والضرب قاصرا على المولدين وقد مرت بنا قصيدة الاعشى التي التزم بالخبن في عروضها وضربها انّما لم يظهر هذا الضرب من الاوزان التي خلط فيها الشعراء بين الضربين والأعاريض عند المولدين فقد التزموا الخبن ولم يخرجوا عليه ومنه قول أبي العلاء :

يموت قوم وراء قوم ... ويثبت الأول العزيز
كم هلكت غادة كعاب ... وبقيت أمّها العجوز

وانّما عيب على عبيد هذا الخلط بين الضروب والأعاريض وان لم تكن قصيدة امرئ القيس موضع انتقاد كما كانت قصيدة عبيد وان لحا فيها لحوه • يقول الدماميني : (وشذ استعمال المديد تاما وأنشد ابن زيدان :

أنه لو ذاق للحب طعما ما هجر
كلّ غرّ في الهوى أنت منه في غرر

ومنه قول السليك :[2]

---

(١) العيون ص ٥٦ •

(٢) الحماسة ص ٢٢٣ • طبع المطبعة التجارية بمصر ١٣٨٨هـ •

طاف يبغي لجوة من هلاك فهلك
ليت شعري ضلة أي شيء قتلك
أمريض لم يعد أم عدو ختلك

حمله بعضهم على أنّه شاذ تامّة وأن القصيدة مصرّعة وذهب الزجّاج الى أنّ هذه القصيدة من الرمل وعروضها وضربها محذوفان فجعل للرمل ثلاث أعاريض قال والحمل عليه أولى من الحمل على تمام المديد لأنّه يلزم عليه شذوذان مجيء المديد تاما والتزام التصريع) (١)

والمديد عامة قليل في أشعار العرب حتى الضرب المستعمل منه يقول أبو العلاء (المديد وزن ضعيف لايوجد في أكثر دواوين الفحول والطبقة الأولى ليس في ديوان أحد منهم مديد أعني امرئ القيس وزهيرا والنابغة والأعشى في بعض الروايات وقد جاء لطرفة قصيدة من المديد هي :

أشجاك الربع أم قدمه
أم رجاد دارس حممه .(٢)

وربما جاءت منه الأبيات الفاردة كقول المهلهل :

يابكر أنشدوا لي كليبا
يابكر أين أين الفرار .(٣)

---

(١) العيون ص ٥٢ .
(٢) ديوان طرفة ص ١١٠ . طبع دار الكتب ١٩٣٨م .
(٣) الاقناع ص ١١ .

(وان (بالشّعب) مختلف فى قائلها ولم يجمعوا على أنها قديمة) (١) واجتنابهم للضرب التام من المديد لثقله أولى من المجزوء وانما نظم عليه المولدون لاطلاعهم عليه فى الدائرة •

يقول الدمامينى : (وقد شذّ القبض فى عروض الوافر وأنشدوا :

علوت على الرجال بخلتين ورثتهما كما ورث الولاء (٢)

فعروضه (فعول) قال : ولا يجوز تمكين الحركة حتى ينشأ عنها حرف لين وأمّا تمكين مثل (خلتين) فيجوز تمكينه فى الضرب باطلاق الروّى وفى العروض بشطر التصريع وان أمكن على غير هذا الوجه فالضرورة على شذوذ • قال : واعترض الصفاقس على الشذوذ لكثرة مجىء ذلك وتمثل بقوله :

أبى الاسلام لا أب لى سواه
اذا افتخروا بقيس أو تميم (٣)

وقوله (سواه) وزنه (فعول) وقولهم :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه
يكون وراءه فرج القريب (٤)

وقوله :

زَعرت به القطا ونفيت عنه
مكان الذئب كالرجل اللعين

---

(١) الفصول والغايات ص ٢١١•
(٢) الاقناع ص ٢٣ •
(٣) العيون ص ٥٧•
(٤) نفسه ص ٥٧ •

فكلّ الأعاريض فى هذه الابيات جاءت مقبوضة على (فعول) • ولفى الصفاقسى للشذوذ عله قائم على احتجاجه بكثرة وروده فى الشعر والقول اذا كثر فى السماع انتفى شذوذه فجاز اشباع آخر حرف من العروض كما جاز اشباع آخر حرف فى الضرب فالاشباع هنا قد دخل العروض كما دخل الضرب واعترض الدمامينى على الصفاقسى بأن جميع هذه الأبيات التى ذكرها من شعر العرب يجوز الاشباع فيها فى النظم والنثر لأنها تنتهى بالضمير أما قوله (بخلتين فلايجوز تمكينها لا فى النظم ولا فى النثر الا أن نذهب الى رأى سيبويه أنه يجوز فى الشعر مالايجوز فى الكلام يقول سيبويه (أعلم أنه يجوز فى الشعر مالايجوز فى الكلام من صرف مالاينصرف وحذف مالايحذف يشبهونه بما قد حذف فاستعمل محذوفا كما قال العجّاج :

قواطنا مكة من ورق الحمى

وربما مدوا مثل مساجد ومقابر فيقولون مساجيد ومقابير) [1] وعلى هذا لايجوز قياس مايجوز فى الشعر على مايجوز فى الكلام •

يقول الشنتريني [2] فى شواذ الكامل : (وقد شذ قطع عروض الضرب الاول واضمارها مفارقا على جهة مجىء الزحاف ويسمى الاقعاد وهو عيب شاهده :

لما رأت ماء السلا مشروبا

والخرث يحصر فى الاناء أربّت [3]

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٢٨•

(٢) المعيار ص ٧٢ •

(٣) اللسان (سلا)

ولا يسمى مع الضرب الثانى اقعادا لانها لم تتعد عن الضرب لمساواتها له شاهده :

أفبعد مقتل مالك بن زهير
ترجو النساء عواقب الأطهار (١)

وذهب أبو العلاء الى أن هذا اقعاد يقول :
(وبيت الربيع بن زياد أفبعد مقتل مالك بن زهير ... تسميه العرب المقعد) ويقول الشنترينى فى معنى الاقعاد : (يدخل فى العروض من غير تقفية ولا تصريع يتوهم سامع النصف الأوّل أن الشاعر يأتى بالثانى موافقا له فيأتى به على خلاف ذلك)(٢) وقد جعله كل من الشنترينى وأبى العلاء عيبا وعلى لايجوز أن يكون قاعده يقاس عليها بل يحكم بشذوذه يقول الدمامينى : حكى بعضهم أن الكامل يستعمل شطرا ويأتى تارة مرفلا كقوله :

أبك اليزيد بن الوليد فتى العشيرة

وتارة مذيلا كقوله :

ياخلّ مالاقيت فى هذا النهار

وتارة مجرى كقوله :

حكمت بجور فى القضاء ولا تنا

---

(١) الفصول والغايات ص ١٣٥ .
(٢) المعيار ص ٧٢ .

قال وهذا كلّه شاذ لايعرفه الخليل) [١] ويقول صفى الدين الحلّى فى شرح أبيات أبى الجيش (وأعلم أنّهم اختلفوا فى المشطور فذهب الخليل الى أنّه ليس بشعر وان كان فيه الوزن والقافية لأنّهما يوجدان فى الخطب الفصيحة والرسائل البليغة مع أنهما ليست بشعر ولانتفاء واحد من العروض أو الضرب لأنّ الجزء الاخير امّا عروض أو ضرب ولايجوز أن يكون كلاهما واحد لاستحالة كون النصف الآخر آخر المجموع وذهب بعضهم الى أنّه شعر لصدق تعريفه عليه وأمّا الضرب والعروض فقد قيل أنّهما واحد وهو الجزء الثالث الأخير وقيل أنّ الثالث عروض البيت ولا ضرب له لأن الضرب لايكون الاّ فى الجزء الأخير وهو محذوف وقد قيل أنّه ضرب ولا عروض فانّها آخر النصف الأول ولا نصف للمشطور) [٢] هذا وان كان الشطر قد ارتبط بالرجز والسريع ولم يشتهر به غير هذين البحرين يقول ابن رشيق : (قد خصّ الناس باسم الرجز المشطور والمنهوك وقد رأى قوم أنّ مشطور الرجز ليس بشعر لقول النبى (ص) :

هل أنت الاّ اصبع دميت
وفى سبيل الله مالقيت

وروى الليث أنّهم عندما ردوا على الخليل قوله انّ المشطور ليس بشعر قال لاحتجّنّ عليهم بحجة أن لم يقرّوا بها كفروا قال فعجبنا من قوله حتى سمعنا حجته) [٣]

---

(١) العين ص ٦١ .
(٢) شرح أبيات أبى الجيش ص ٣٢ .
(٣) العمدة جـ١ ص ١٥٤ .

ويقول أبو الحسن الاخفش" والرجز عند العرب ماكان على ثلاثة أجزاء وهو الذى يترنمون به فى عملهم وسوقهم ويحدون به) (١) وجاء فى لسان العرب كلام للأخفش يناقض هذا الكلام يقول ابن منظور (وقال الأخفش يقول الخليل وهذه الاجزاء شعر وأنا عندى أنها ليست بشعر) (٢) فلعله أراد أن يقول أنه هو الذى ألزم الخليل بهذا القول • ومما يرجح نسبة هذا القول للاخفش أن العلماء لم يكونوا يردون على الخليل بل كانوا يردون على الاخفش يقول ابن جنى (ولم يحتفل الاخفش بقوله هذا كما جاء من الرجز على جزئين) (٣) فالاخفش كما يبدو من ظاهر هذا الكلام أنه قد أثبت ماجاء على ثلاثة أجزاء ورفض ماكان على جزئين وربما كان رفض ماجاء على جزئين كراهة أن يدخل فيه قول الرسول (ص) :

ما أنت الاّ اصبع دميت وفى سبيل الله مالقيت

وهو يدخل فى مشطور الرجز وقوله :

أنا النبى لا كذب وأنا ابن عبد المطلب

وهو من المنهول وذلك لقوله تعالى (وماعلمناه الشعر وماينبغى له) ويحتج ابن رشيق على هذا بقوله ان الرسول عليه الصلاة والسلام لم يقل هذا على أنه شعر والله تعالى أعلم • وحتى المنهول نجد أن أبا العلاء قد أثبته للخليل يقول أبو العلاء (والمشطور يعنى المنهول جنسان احدهما عند الخليل من الرجز كما روى فى تلبية تميم:

---

(١) القوافى ص ٦٨ •

(٢) اللسان مادة رجز •

(٣) نفسه مادة رجز •

لبيك عن هذيل قد أدلجو بليل فى ابل وخيل ، وتلبية قضاعة (لبيك عن قضاعة لربها دفاعة سمعا له وطاعة) (١) ولعله مما يؤيد أن الخليل لم يقف كون الرجز من الشعر رواية الاغانى يقول أبو الفرج (عن يعقوب بن داؤود أنه قال : لقيت الخليل بن أحمد يوما بالبصرة فقال لى (دفنا الشعر والفصاحة اليوم • فقلت : وكيف ذاك قال : هذا حين انصرفت من جنازة رؤبة ابن العجّاج) • كل هذا يؤيد أن الخليل لم يقف كون الرجز شعرا •

وقد أثبت ابن سلاّم الثلاثى الاجزاء بقول : (ومن قديم الشعر الصحيح قول العبر أن :
ابن تميم وكان جاور فى بهراء بنى عمرو بن تميم فقال :

قد رابنى من دلوى اضطرابها
والنأى فى بهراء واغترابها
أن لا تجىء ملأى يجىء قرابها (٢)

وجاء على هذا شعر لامرئ القيس حيث يقول :

والله لايذهب شيخى باطلا
حتى أبير مالكا وكاهلا
القاتلين الملك الحلاحلا
خير معد حسبا ونائلا
وخيرهم قد علموا شمائلا
نحن جلبنا القرّح القوافلا

وهو غير قليل فى الشعر العربى •

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٢ •
(٢) [illegible]

يقول الدمامينى : ذكر القلوس انّ للهزج عروضة محذوفة لها ضرب مثلها وأنشد :

سقاها الله غيثا
من الوسمّى ريا

وهو فى غاية الشذوذ) (١)

وهذا الوزن أشبه بالمهمل الذى هو مقلوب الطويل اذا اعتبرناه مشطورا وقد مضت علة اهماله وقال : (حكى الأخفش أن للهزج ضربا ثالثا مقصورا وبيته :

ومالىث عرين ذو أظافير وأسنان
أبو سّبلين وثّاب شديد البطش غرثان

قال والخليل يأبى ذلك ويشدده على الاقواء) (٢) والتقييد فى هذا البيت منجاة من الاقواء فاذا أطلق صار من الضرب الأوّل من الهزج والاقواء أسلم من الخروج الى وزن آخر كما مرّ فى طويل الاخفش اذ أنّ اجتناب الاقواء قد أدى الى ضرب رابع للطويل .

قال الصبّان (وحكى بعضهم استعمال الضرب المقطوع العروض الاولى من الرجز (مفعولان) وكل ذلك شاذ) (٣) وذلك حين يكون البيت على :

---

(١) العيون ص ٦٣ .
(٢) نفسه ص ٦٤ .
(٣) شرح الصبّان ص ١٤٦ طبع المطبعة الخيرية ١٣٢١م .

مستفعلن مستفعلن مفعـولان

مستفعلن مستفعلن مفعـولان

وهو اذا ماجاء مصرعا حمل على مشطور السريع يقول ابن رشيق : (١) (ومن العقصّد ماليس برجز وهم يسمونه رجزا لتصريع جميع أبياته وذلك هو مشطور السريع وذلك نحو قول الراجز (٢)

هل تعرف الدار بأعلى ذى الطور
غيرها نأج الرياح والمور
ودرست غير رماد مكفور
مكتئب اللون مريح ممطور
وغير لوءى كبقايا الدعثور
أزمان عيناء سرور المسرور

ولعلّ ابن رشيق قد حمله على مشطور السريع لأنّ (مفعولان) عنده أقرب الى (مفعولات) منها الى (مستفعلن) وان كان قد جاء شعر كثير على هذا الوزن لرجاز اقتصروا فى شعرهم على الرجز كرؤبة والعجّاج وأبى النجم العجلى الاّ أنّ حمله على السريع أولى لأنّ انتقال (مفعولات) الى (مفعولان) بالوقف أيسر من انتقال (مستفعلن) الى (مفعولان) بالقطع

---

(١) العمدة جـ١ ص ١٨٣ .

(٢) نوادر أبى زيد ص ٢٣٦ طبع بيروت ١٨٩٤م .

والتذييل وهذه هى الحجة التى لجأ اليها السكّاكى فى قوله أنّ :

مستفعلن مستفعلن مفعولن

من السريع يقول (وانّما لايحمل هذا عندنا على مشطور الرجز المقطوع العروض لأنّ حمله على ذلك يستدعى اسقاط حرف مع اسقاط حركة وحمله على هذا يستدعى اسقاط حرف فحسب لكون الحركة ساقطة بحكم كونها موقوفا عليه أى يكون حركة التاء من مفعولات ساقطة فى الاستعمال سقوطا لاظهور لها الاّ فى الدائرة)(١) فحمل هذا الضرب على السريع أولى .

يقول الشنترينى(٢) فى شواذ الرمل : (قد شذت منه عروض تامة صحيحة ولها ضرب واحد تام شاهده : (٣)

انّ ليلى طال والليل قصير
طال حتّى كاد صبح لايثير
ذكر أيام عرتنا منكرات
حدثت فيها أمور وأمور

---

(١) تحفة الخليل ص ٢٠٠ .
(٢) المعيار ص ٦٨ .
(٣) البارع ص ١٣ .

ويقول ابن القطاع : (وذكر أنّه جاء تام الرمل في شعر لمحمد بن اياس — وذكر البيتين — قال ولم يره لغيره من العرب) (١)

وقال الدماميني (٢) (وشذ استعمال العروض الأولى من الرمل تامة كقول الشاعر:

ياخليلي أعذراني انني من
حب سلمى في امتحاب واكتئاب

ويقول القزويني : (الشعراء يتحاشون العروض التامة في الرمل ولكن قد يأتي بيت أو بضعة أبيات لهذه العروض أثناء القصيدة من ذلك ماوقع لمهيار في قصيدته التي أولها

بكر العارض تحدوه النعامة
فسقاك الرّي يادار أمامة
وتمشت فيك أرواح الصبا
يتأرجحن بأنفاس الخزامى

وجاء فيها :

---

(١) البارع ص ١٣ .
(٢) العين ص ٦٩ .

وتبقوا كل حيران بليد
يسأل الجدل عنهم والرغاما

ومنها :

واعجبوا من أن يرى الظلم حلالا
شارب وهو يرى الخمر حراما (١)

وهذا مما يجتلب لأنّ فيه عدم الالتزام بالعلة والعلة اذا لحقت العروض لزمتها الى آخر القصيدة .

يقول الشنتريني في شواذ السريع : (قد شذّ الجمع بين الضرب الأصلم والمكشوف المخبول في قصيدة واحدة شاهده :(٢)

هل بالديار أن تجيب صمم
لو أنّ رسما ناطقا كلّم

ثم قال فيها :

الشر مسك والوجوه دما
نير وأطراف الاكف عنم .

---

(١) تحفة الخليل ص ٢١٣ .
(٢) المفضليات ص ٢٣٨ . مطبعة الاباء اليسوعيين بيروت ١٩٢٠م .

قال وقد حمل ذلك أبا اسحق على أن زعم أن ضروب السريع ستة لتداخل هذين الضربين) (١)

وقال أبو العلاء المعرى : (أنّ مرقشا قد خلط فى كلمته :

ماذا عليها أن غزا ملك
من آل حفنة ظالم مرقم

قال وهذا خروج عما ذهب اليه الخليل) (٢)

وقد ترتب على الجمع بين هذين الضربين الجمع بين نوعين من القافية هما المتراكب والمتواتر يقول ابن رشيق فى حديثه عن القوافى : (ولايجتمع نوعان من هذه الانواع فى قصيدة الا من جنس السريع فان المتواتر يجتمع فيها مع المتراكب كقول المرقش فى بيت :

واطراف الاكف عنم

وفى آخر:
قد قلت فيه غير ماتعلم) (٣)

---

(١) المعيار ص ٦٣ .
(٢) الفصول والغايات ص ٤١٩ .
(٣) العمدة ص ١٧٢ .

فهو يجوز الجمع بينهما وذهب الدماميني الى هذا الرأى وقال : (ويجوز اجتماع هذا الضرب الاصلم مع الضرب الأحذ في قصيدة واحدة كقول المرقش :

الشر مسك والوجوه دنا
نير وأطراف الاكف عنم

مع قوله :

ليس على طول الحياة ندم
من وراء المرء مايعلم

قال وانما جاز في ذلك في السريع لأنه صار فيه مفعولات بالكشف والخبل الى فعلن بكسر العين وصار بالصلم الى فعلن بسكون العين فكأنه في الأصل فعلن ثم سكن تخفيفا كما فعل في فعلن في الكامل الماشئ عن متفاعلن بالحذذ والاضمار والى هذا نحا الزجاج قال واعترض ابن برى فقال : (وفيه نظر لأنه قاس فعلن في السريع في جواز تسكينه على الكامل والامر فيهما مختلف فان العين في الكامل ثانى السبب فيجوز اسكانها بالاضمار وهى في فعلن في السريع أول سبب وأوائل الاسباب لا تغيّر) [1] أما ابن عبد ربه فقد مثل ببيتين من القصيدة كل بيت لضرب مختلف من السريع فمثل للعروض المكشوف المخبول بقوله :

---

(١) العيون ص ٧٠ .

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطرافُ الأكف عنم

ومثل للضرب الأصلم بقوله من نفس القصيدة :

يا أيها الزارى على عمرٍ
قد قلت فيه غير ماتعلم (١)

فجعل كل واحد منهما مثالا مختلفاً من السريع ولم يذكر جواز اجتماعهما فكأنه أراد ذلك من ذكر بيتين من قصيدة واحدة • وليس الجمع بين هذين الضربين قاصرا على هذه القصيدة وقد أورد الخالديان فى الأشباه والنظائر هذين البيتين :

آخر ماشىء يعولك والـ
أقدم تنساه وان هوجل
قد تتحدى الحادثات فلا
أجزع من شىء ولا أجذل

قالا وهذا الشعر من العروض والضرب الرابع من السريع وبيته (النشر مسك) (٢) ويقول القزوينى :-(وللاعشى لامية من تسعة وثلاثين بيتا جمع فيها بين الضربين كما فعل المرقش) (٣) والقصيدة فى ديوان الاعشى ومطلعها : (٤)

---

(١) العقد الفريد جـ ٥ ص ٤٤٦ •
(٢) الأشباه والنظائر جـ١ ص ١٧٢ دار المعارف مصر ١٣٥٩هـ •
(٣) تحفة الخليل ص ٢٢٨ •
(٤) ديوان الاعشى ص ١٧٢ •

أقصر فكل طالب سيمل
ان لم يكن على الحبيب عول

جاء الضرب على فعلن وقال فيها :

فهو يقول للسفيه اذا
آمره فى بعض مايفعل

ويقول القزوينى : (والغريب أن قصيدة الأعشى هذه لم تكن موضع اهتمام عند العروضيين كما كانت قصيدة المرقش) (١) وهذا الوزن الذى خلط فيه بين الضربين اقتصر على الشعر القديم واطرحه المولدون فلم يظهر فى أشعارهم فاذا نظموا فى السريع التزموا فيه ضربا واحدا ..

وفى شواذ المسوح يقول الشنترينى (وشذ فى العروض الأولى ضرب واحد مقطوع شاهده : (٢)

ماهيج الشوق من مطوّفة
قامت على بانة تخيلا

وقال التبريزى:(٣) (وقد استعملوا ضربا آخر لم يذكره الخليل ووزنه مفعولن فمن القديم:

---

(١) التحفة ص٢٢٨.
(٢) المعيار ص٧٦.
(٣) الكافى ص ١٠٥ .

ذاك وقد أذعر الوحوش بصل
ت الخد رحب لبانه مجفر

وقال الاخر:

ماهيّج الشوق من مطّوقة
قامت على بانة تغيلا

وروى التبريزى هذا على أنه من الشعر القديم ولكن الردف لازم لهذا الضرب اذ أنه قد نقص من أتم البناء وهو " مستفعلن" زنة حرف متحرك ويقول ابن برى عن هذا الضرب: (وهذا الضرب مما استحسنه المحدثون وأكثروا منه لحسن اتساقه وعذوبة مساقه حتى استعملوه غير مردف كقول ابن الرومى :(١)

لو كنت يوم الوداع شاهدنا
وهنّ يطفين لوعة الوجد
لم تر الا الدموع باكية
تسفح من مقلة على خد

فان وجد هذا الضرب فى الشعر القديم وسار عليه المحدثون انتفى شذوذه على أنه قد شذ الجمع بين الضربين المقطوع والمطوى

---

(١) ديوان ابن الرومى ص ٩٨ • شرح الشيخ الشريف مطبعة الهلال ١٩١٧م •

يقول الشنتريني : (وزعم بعضهم أن ذلك يجوز مع ضربها المطوى فى قصيدة واحدة على مجيء الزحاف وذلك بعيد جدا لأن الزحاف انما يكون فى الأسباب دون الاوتاد ولا يقاس هذا على التشعيث فى الخفيف لان ذلك نادر فلا يقاس عليه)[١] ويترتب على الجمع بين الضربين المقطوع والمطوى الجمع بين نوعين من القافية هما المتواتر — وهى حركة فسكون — والمتراكب وهى فاصلة صغرى ولا يجوز اجتماع هذين النوعين فى قصيدة واحدة يقول ابن رشيق بعد ذكر أنواع القوافى ولا يجوز الجمع بين نوعين من هذه الانواع الا فى قصيدة من جنس السريع .[٢]

يقول الشنتريني :[٣] (وشذ فى السريع تشعيث العروض الاولى فى غير تصريع قال ابن أبى ربيعة :

دمية عند راهب قيس
صوّروها فى جانب المحراب

ويمتنع هذا قياسا على امتناع الاقعاد فى بحر الكامل كقول قيس بن زهير :

---

(١) المعيار ص ٧٦ .
(٢) العمدة جـ١ ص ١٧٢ .
(٣) المعيار ص ٨١ .

أو بعد مقتل مالك بن زهير
ترجو النساء عواقب الأطهار

وكامتناع الحذف فى عروض الطويل كقول النابغة :(١)

جزى الله عبسا آل بغيض
جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

وقال الشنتريني :(٢) (وشذ تشعيثها مع سلامة الضرب والبيت مصرع كقول الحارث :

آذنتنا ببينها أسماء
رب ثاو يمل منه الثواء

فالعروض (أسماءو) (مفعولن) والضرب (هثثواءو) وزنه (فاعلاتن) يقول الدماميني فى قول الحارث : (واعتذر عنه أبو الحكم بأن الشاعر همّ بتشعيث العروض الحاقّ لها بالضرب اعتمادا على أنه يشعثه فلس وقال الصفاقسى : فكأنه يشير بهذا الى أن هذا من الاشارة الى التصريح وهو تبعية العروض للضرب فى القافية والوزن والاعلال ولو قيل التصريح هو جعل العروض كالضرب وزنا ورويا مع اخراجها عن حكمها الى حكمه لم يحتج الى شئ من هذا وذلك لأن العروض الواقعة فى بيت الحارث قد جعلت كالضرب رويا ولا يضر كون الضرب لم يشعث فان تشعيثه جائز لها لازم فجعلت العروض بمثابته حكما

---

(١) ديوان النابغة ص ٨٥ طبع مصر ١٣٩٣هـ .
(٢) المعلقات ص ٧٤ .

فدخلها التشعيث ولم يدخل الضرب مع جواز دخوله فيه)[١] فجعل العروض هنا ضربا وحكمها حكم الضرب فى جواز التشعيث وهذا ماذهب اليه ابن رشيق فى جعله العروض كالضرب يقول : (فأما التصريع فهو ماكانت فيه العروض تابعة للضرب تنقص بنقصه وتزيد بزيادته)[٢]

يقول الدمامينى :[٣] (زعم بعض العروضيين ترك المراقبة فى المضارع وأنشد على ذلك :

بلو سعد خير قوم
لجارات أو معان

قال: ولا حجة فيه لأن قائله مولد والمراقبة بين ياء مفاعيلن ونونها لازمة لهذا البحر فلا يثبتان معا ولا يسقطان معا فأما أن يجىء (مفاعيل) وأما أن يجىء (مفاعيلن) وقال[٤] وحكى الجوهرى اجتماع القبض والكف فيه وأنشد :

أشاقك طيف مامة
بمكة أو حمامة

---

(١) العيون ص ٤٩ .
(٢) العمدة جـ١ ص ١٧٣ .
(٣) العيون ص ٧٤ .
(٤) نفسه ص ٧٤ .

الاول والثالث مقبوضان) واذا اجتمع القبض والكف فى هذا البحر اشتبه بمشكول المجتث اذ يكون وزنه :

مفاعلتن فعولن

مفاعلتن فعولن

مثاله :(١)

أولئك خير قوم اذا ذكر الخيار

والتبس بعروض الوافر المجزوءة المقطوفة للوافر وذكرها الاخفش (٢) وهذا البحر مما أنكره الأخفش على الخليل يقول الدمامينى (وأنكر الأخفش أن يكون المضارع من شعر العرب قال الزجاج وهو قليل حتى أنه لايوجد منه قصيدة لعربى) (٣)

وتلتزم المراقبة الجزء مفعولات فى المقتضب وقال الدمامينى : وحكى بعضهم سلامة مفعولات فى المقتضب فلم يراع المراقبة فيها وأنشدوا منه :(٤)

لا أدعوك من بعد

بل أدعوك من كثب

---

(١) العقد ج ٥ ص

(٢) العيون ص ٥٩ .

(٣) نفسه ص ٧٤ .

(٤) نفسه ص ٧٤ .

وملخ أبو العلاء ترك المراقبة فى هذا البحر يقول (والمقتضب فى العدة أربعة وعشرون حرفا لاتزيد ولاتنقص بزحاف ولا خرم وليس فى الاوزان وزن يلزم طريقة واحدة فلاينقض مله شئ غيره وبيته الذى وضعه الخليل :(١)

أعرضت فلاح لنا
عارضان كالبرد

يحسب فى عداده ياء الوصل التى فى (البردى) ولاتحسب الألف التى تتبع اللام للتعريف وتدخله المراقبة فيبقى على حاله وهذا البحر مما أنكره الاخفش على الخليل أيضا وزعم أنه لم يسمع .

يقول القزوينى(٢) (ومن شواذ المتقارب مجئ عروضه الثانية المجزوءة بتراء على فع كقوله :

وأهدى لنا أكبشا تبجبح فى المربد
وزوجك فى النادى ويعلم مافى غد

والشاهد فى البيت الثانى فقد جاءت عروضه (دى) بتراء على (فع) والحكم شذوذ هذا يكون عدم لزوم التغيير بالحذف الذى يلحق العروض وهو لازم لها الى تمام القصيدة .

---

(١) الفصول والغايات ص ٨٧ .
(٢) تحفة الخليل ص ٢٨٩ .

قال الشنتريني :[١] (وقد شذ تام المتدارك شاهده :

يابنى عامر قد تجمعتم

ثم لم تدفعوا الضيم اذ قمتم

وقال الصبّان : [٢] (حكم كثيرا بشذوذ هذا البحر سالما وأن المطرد استعماله مخبونا وقد تقدم أن الخليل قد نص على طرح هذا البحر من دائرته وهو انما كثر استعماله عند المولدين واستعمل مخبونا كقول أبى الحسن القيروانى :[٣]

ياليل الصبّ متى غده

أقيام الساعة موعده

وربما نص على شذوذ التام منه لعجز السبب الخفيف عن حمل الوتد المجموع أما فى فعلن وفعلن فيجتمع سببان وقد تقدم الكلام فى البحر المذكور •

والشاذ وان جاء فى الشعر القديم لايصير أصلا يقاس عليه وان كان موافقا للقياس فحكمه حكم الالفاظ الشاذة كما مدّ وقد ينظم المحدثون على بعض الاوزان مما اطرحته العرب كما يحكى أبو الفرج فى ترجمة عبدالله ابن هارون (وكان يقول أوزانا من

---

(١) المعيار ص ٩٤ •

(٢) شرح الصبّان ص ٩٢ •

(٣)

العروض غريبة فى شعره ثم أخذ ذلك عنه ولحا لحوه رزين العروض وجعل أكثر شعره من هذا الجنس على أنه ينبغى أن نعرف أن هذه الاوزان لم تشع على ألسنة العباسيين وكأنهم أحسوا نقص أنغامها وايقاعها بالقياس الى الاوزان المستعملة(١) فمثل هذه الاوزان الشاذة لاتخرج عن كونها شعرا لما فيها من الالتزام بالوزن والقافية ولكن لاتجعل أصلا يقاس عليه .

---

(١) الاغانى جـ٦ ص ٥٠٠ ترجمة عبد الله بن هارون .

الفصل الرابع

العلل والزحافات

تعريف الزحافات لغـــة واصطلاحـــا :

العلة والزحاف تغيير يطرأ على أجزاء العروض أما بالنقـــص أو بالزيادة وفى تعريفه يقول الدمنهورى : (الزحاف بكسر الـزاى مصـدر زاحف كالمزاحفة وهو لغة الاسراع وسمّى بذلك لأنّـــــه اذا دخل الكلمـة أسرع النطق بها بسبب نقص حروفها أو حركاتهـا ويقال للجزء الداخل فيـه ذلك مزاحف ومزحوف أيضا والعلـــــل جمع علة) (١) ويلاحظ فى أسمـــاء العلل والزحافات وقوع المناسبة بين معانيها اللغوية الاصطلاحية فان كان التغيير بالنقص دلّ اسمـه على ذلك كالاضمار والخبب والوقص يقول الدمنهورى : (الاضمـــار لغـة هو الاخفاء وسمّى بذلك لما فيـه من اخفاء الحرف بذهـاب حركته ولايكون الاّ فى (متفاعلن) ، والخبن يطلق لغة على جمع ذيل الثوب من أمام الى الصدر ، والوقص بتسكين القاف وتحريكها لغة كسـر العنق لأنّ الحرف الثانى بمنزلة عنق الكلمة لان العنق هـو الى الاعضاء بعد الرأس) (٢) وان كانت العلة بالزيادة دلّ اسمها علـى ذلك فالتذييل والاذالة يطلقان على أن يجعل للثوب ذيل فشبهـت به الزيادة المذكورة والتسبيغ مصـدر أسبغ الثوب أى اطاله وهـــذا ماتعنى به المناسبة بين المعنيين اللغوى والاصطلاحى .

---

(١) المختصر الشافى على متن الكافـى ص ٦ .

(٢) نفسـه ص ٧ .

أمّا تعريف الزحاف اصطلاحا فهو تغيير يختص بتوالي الاسباب . أمّا العلة فتغيير يطرأ على الأسباب والاوتاد ويختص بالأعاريض والضروب دون الحشو من الأجزاء . والزحاف والعلة انّما أثبتت بالحاق فروع التفاعيل بأجزائها وتتضح صورتها في الجدول التالي الذى يبين الاصول وما يتفرع عنها من الفروع بواسطة العلل والزحاف وهى أجزاء كتب كل منها بازاء أصله :

فعولن	مفاعيلن	مفاعلتن	مستفعلن
فعول مقبوض	مفاعلن مقبوض	مفاعيلن معصوب	مفاعلن مخبون
فعول مقصور	مفاعيل مكفوف	مفاعلن معقول	مفتعلن مطوى
فعان أثلم	مفاعيل مقصور	مفاعيل مقوض	فعلتن مخبول
فعل أثرم	فعولن محذوف	فعولن مقطوف	مستفعل مكفوف
فعل محذوف	مفعولن أخرم	مفتعلن أعضب	مفاعل مشكول
فع أبتر	فاعلن أشتر	مفعولن أقصم	مفعولن مقطوع
	مفعول أخرب	فاعلن أجم	فعولن مكبول
		مفعول أعقص	مستفعلان مُذَال
			مفاعلان مُذَال مخبون
			مفتعلان مُذَال مطوى
			فعلتان مُذَال مخبول

فاعلاتن	متفاعلن	فاعلن	مفعولات
فعلاتن مخبون	مستفعلن مضمر	فعلن	فعولات مخبون
فاعلات مكفوف	مفاعلن موقوص	فعلن	فاعلات مطوى
فعلات مشكول	مفتعلن مخزول		فعلات مخبول
فاعلان مقصور	فعلاتن مقطوع		مفعولات موقوف
فاعل محذوف	مفعولن مقطوع مضمر		فعولان موقوف مخبون
فعلن محذوف مخبون	فعلن أحذّ		فاعلان مطوى موقوف
فعلن أبتر	فعلن أحذ مضمر		مفعولن مكشوف
مفعولن مشعث	متفاعلان مذال		فعولن مكشوف مخبون
فاعيتان مسبّغ	متفعلان مذال مضمر		فاعلن مكشوف مطوى
فعليتان مسبغ مخبون	مفاعلان مذال موقوص		فعلن مكشوف مخبول
فعلان مقصور مخبون	مفتعلان مذال مخزول		فعلن أصلم
	متفاعلاتن مرفّل		
	مستفعلاتن مرفّل مضمر		
	مفاعلاتن مرفّل موقوص		
	مفتعلاتن مرفّل مخزول		

الاعتماد :

يقول ابن رشيق : (والاعتماد ماكان من الزحاف الجائز في الحشو في الجزء الذى قبل الضرب كقول امرئ القيس : (١)

أعنى على برق أراه ومِيض
يضيء حبيّا في شماريخ بيض

فأثبت (ياء) شماريخ وهو مكان اللون من (فعولن) وكان الأجود أن يسقطها بالقبض لمكان الاعتماد .) (٢) ويختص بالطويل الثالث يقول الدماميني : (والاعتماد في الطويل قبل ضربة المحذوف وعلى سلامة نونه في المتقارب قبل ضربة الابتر .) (٣) وقال ابن عبد ربّه : (الاعتماد في الطويل سقوط الخامس الساكن في فعولن التى قبل القافية اعتمد فيه فقبض ولم تجر السلامة الاّ على قبح ولم يأت في الشعر الاّ شاذا قليلا.) (٤) ومثال الاعتماد في الطويل قول السموأل : (٥)

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٦٩ .
(٢) العمدة جـ ١ ص ١٤٤ .
(٣) العيون ص ٢٨ .
(٤) العقد الفريد جـ ٥ ص ٤٢٨.
(٥) الاغانى جـ ٦ ص ٨٤ .

تعيرنا أنّا قليل عديدنا
فقلت لها أنّ الكرام قليـــل
وماضرنا أنّا قليل وجارنا
عزيز وجار الأكثرين ذليـــل

البيتان من الطويـــل الثالث جاءت فيه (قليـــل) و (ذليل) وهمـــا الضـرب على (فعـولن) فجاء الجزءان قبلهمـــا (كـرام) و (ثريـــن) على (فعـــول) ولزوم القبض ههنا ربّمـــا كان اجتلابا للاخلال بالنغم اذ أن نغمـــة الطويـــل تقوم عـــلى الجزء الخمـاســـى يتلوه الجزء السباعى (مفاعيلن) كمـــا يقـول الفارابـــى: (انّ الجزء امّا أن يردف بمساو لـــه أو أن يـــردف بغـير مســـاو لـه فان أردف بغـير مســـاو كـان جملة المجتمع منهمـــا جزءا ناقصـــا فى المركبات.) (١)

فالموسيقى فـى بحر الطويـــل تقـــوم على النغـــم المـزدوج فـان ادرك الحذف سباعـيّة فصـــار الى الخماسى اختل التركيـب وتسـاوى الجزءان فصـار الوزن الـــى:

---

(١) الموسيقى الكبير ص ١٧٤.

فعولن مفاعيلن فعولن فعولن

فوقع الازدواج فى أوله ووقع تكرار الجزء فى نهايته فلقص الجزء قبل الاخير ليعطى مع تاليه وهو الجزء الاخير النغمة المزدوجة التى تقوم عليها البحور المركبة •
وهذا ماتختلف فيه البحور المركبة التى تقوم على ازدواج النغم عن البحور البسائط التى تقوم على تكرار الجزء الواحد •

أما الاعتماد فى المتقارب وهو ثبوت النون فراجع الى أنّ التفعيلة الاخيرة قد أصابها البتر فصارت الى فع فحذف أكثر الجزء ولم يبق منه الا سبب خفيف فاذا نقص الجزء الذى قبله تبيّن قبح هذا النقص فوجبت سلامته وذلك كقول الشاعر : (١)

تعفف ولا تبتئس
فما يقض يأتيكا

فالجزء الاخير الذى هو الضرب (كا) قد ذهب أكثره

---

(١) العيون ص ٧٧ *

فاذا دخل النقص الجزء الذى قبله تبيّن قبح هذا النقص .

المراقبة :

جاء فى لسان العرب (١) أنّ المراقبة تكون فى الكواكب وهى مغيب أحدهما عند طلوع الاخر يقول ابن عبد ربّه (٢) فى تعريفها اصطلاحا : (والتراقب بين السببين المتقابلين من فاصلة واحدة ولا يدخل التراقب من جميع العروض الاّ فى المضارع والمقتضب) فالجزء (مفاعيلن) فى المضارع مثلا ووزن المضارع :

مفاعيلن فاعلاتن مفاعيلن فاعلاتن

يشتمل على سببين خفيفين متجاورين هما (عيلن) وحكمهما هنا ألاّ يزاحفا معا فتحذف الياء والنون بل ولابد من زحاف أحد السببين وسلامة الاخر فلا يزاحفان معا ولا يسلمان معا . فاذا حذفت الياء بالقبض سلمت النون

---

(١) اللسان مادة (رقب) .
(٢) العقد جـ ٥ ص ٤٤٢ .

من الكف فيأتي الجزء على (مفاعلن) مثاله :[1]

وقد رأيت الرجال
فما أرى مثل عمرو

واذا حذفت النون بالكف سلمت الياء من القبض فيأتي الجزء على (مفاعيل) مثاله :

دعاني الى سعادا دواعي هوى سعادا
مفاعيل فاعلاتن مفاعيل فاعلاتن

ومثاله في المقتضب :[2]

لعمرى قد كذب الـ ـزاعمون مازعموا
يقولون ماقتلوا وهم يدفنونهم

فمفعولات في الشطر الأول من البيت حذفت فاؤها بالخبن فسلمت واوها من الطي فصارت الى (مفاعيل) (لعمرى ل) ومفعولات في الشطر الثاني من البيت حذفت واوها بالطي فسلمت فاؤها من الخبن فصارت الى

---

(١) الاقناع ص ٤٤ .
(٢) الفصول والغايات ص ٨٧ .

" فاعلات " " زاعمون " . ويقول الدماميني في المراقبة في مفعولات: (وسبب ذلك في مفعولات الأولى أنّ ساكني سببيها ليس لهما مايعتمدان عليه الاّ الوتد المفروق فلم يقو لاعتمادها عليه جميعا وأمّا في مفعولات التي في الحشو فكأنهم قصدوا تشبيهها بالاولى فأجروها في المراقبة مجراها .) (١)

المعاقبة :

يقول ابن عبد ربّه : (أعلم أن التعاقب يدخل بين السببين المتقابلين في حشو الشعر حيث ماكان ولايكون من جميع العروض الاّ في أربعة أشطار في المديد والرمل والخفيف والمجتث فما عاقبه ماقبله فهو صدر وماعاقبه مابعده فهو عجز وماعاقبه ماقبله ومابعده فهو طرفان ومالم يعاقبه ماقبله ومابعده فهو بريء)(٢) فالمعاقبة أن يتقابل سببان في جزئين فهما يتعاقبان السقوط يسقط ساكن أحدهما لثبوت ساكن الاخر

---

(١) العيون ص ٧٢ .

(٢) العقد جـ ٥ ص ٤٢٩ .

ويثبتان جميعا ولا يسقطان جميعا وهى تدخل أربعه أوزان : المديد والرمل والخفيف والمجتث (١) فمعاقبة الصدر فى المديد مثالها :

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن
فعلاتن فاعلن فاعلاتن

ومنه قوله :

انّ بالشعب الذى دون سلح
لقتيلا دمه مايطل

فقوله (لقتيلا) وزنه فعلاتن وقد سلمت النون فى قوله (دون سلح) بمزاحفة مابعدها وهى عجز اذا جاءت على :

فاعلات فاعلن فاعلات
فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

مثاله : (٢)

لن يزال قومنا
صالحين ما اتقوا واستقاموا

---

(١) العمده جـ ١ ص ١٣٩ .

(٢) العقد جـ٥ ص ٤٤٥ .

حذفت نونها في الكف لتسلم ألف فاعلاتن أو فاعلن من الخبن .

ومعاقبة الطرفين مثالها :(١)

ليت شعرى هل لنا ذات يوم
بجلوب فارع من تلاقى

فقوله (بجلوب) وزنه فعلات حذفت ألفها ونونها بالشكل ليسلم ماقبلها ومابعدها .

وامتناع سقوط الساكنين معا راجع لاهمية الساكن في جزء العروض فلا يسوغ سقوط ساكنين معا فتتوالى المتحركات كما ذهب الى ذلك الدماميني حيث يقول : (والمعاقبة في المسرح واقعة في مستفعلن الذى بعد مفعولات فتعاقب فاؤه سببة وذلك أنهما لو اسقطا حتى يصير الجزء الى (فعلتن) وقبلها تاء مفعولات لاجتمع خمسة متحركات وذلك ويتصور وقوعه في الشعر العربي) .(٢)

---

(١) الاقناع ص ٢١ .
(٢) العيون ص ٣٢ .

دور العلة والزحاف :

أثبت الخليل جملة العلل والزحافات فى علم العروض لعلتين • أولى العلتين أنه لاحظ أن أجزاء العروض الثمانية التى أثبتها يطرأ عليها التغيير أمّا بالنقص أو بالزيادة وقد يكون هذا التغيير لازما وقد يكون عارضا فجعل الاجزاء التى وجدها كثيرة الدوران فى الشعر أصولا وجعل الصور المتغيرة لهذه الاجزاء فروع أو جعل الاجزاء التى آنس فيها الكمال أصولا وجعل ما دونها فروعا لها كما هو الحال فى الجزء مفاعيلن فهى أكمل الصور ثم لاتوجد صورة لها بعد ذلك الاّ وقد أدركها النقصان كفاعلن حين يدخلها القبض ومفاعيل حين يدخلها الكف فقد افترض الخليل أن الوزن العمدة للبحر البسيط هو :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن
مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

كما فى الدائرة • وليست هذه هى الصورة المطردة لهذا البحر فمستفعلن يدخلها الخبن فتصير مفاعلن ويدخلها الطى فتصير مفتعلن والخبن غالبا ايدخل فاعلن فتصير الى فعلن فاعتبر هذه الصور المتغيرة فروعا للاصل الذى وقع فى صورة البحر فى الدائرة فأحدث العلل والزخافات لالحاق هذه

الفروع بتلك الاصول فحصر ذلك من استقرائه للشعر العربي فحصر هذه الاجزاء المتغيرة وبين كيف وقع ذلك التغيير ووجد بعض أنواع هذه التغييرات عارضا فحصر ذلك وسماه بالزحاف وبعضه لازما فسماه بالعلة . ويقاس هذا الاشتقاق في اللغة اذ أن اللغويين قد افترضوا للفظ أصلا ثم صنفوا الفروع وبينوا كيف اشتقت من تلك الاصول يقول السيوطي (١) في تعريف الاشتقاق : (الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ليدل بالثانية على معنى الاصل بزيادة مفيدة لاجلها اختلفا حروفا أو هيئة كضارب من ضرب أو حذر من حذر وطريق معرفته تقليب تصاريف الكلمة حتى يرجع منها الى صيغة هي أصل الصيغ دلالة اطراد أو حروفا غالبا وهذا هو الاشتقاق الاصغر المحتج به وقد جعل الخليل للاجزاء العروضية أصولا كما جعل أهل اللغة للالفاظ أصولا هي عندهم أكمل الصور فلا يخلو فرع من فروع هذه الاصول مما ورد في الاصل يقول الصاحب : (وأصول الأفاعيل ثمانية ومازاد على ذلك فهو فرع له وزحاف عليه) (٢)

---

(١) المزهر جـ ١ ص ٣٤٩ .

(٢) الاقناع ص ١ .

أما التغيير الذى يلحق هـذه الاجـزاء فأمّـا أن يكون بالنقص كالخبن وهو حذف الثانى الساكن وأمّـا أن يكون بالزيادة كالترفييـل حين يدخل على مجزوء الكامل مثاله : (١)

وغـررتنى وزعـمت أنّـك لابـن فى الصيف تامـر

وأما أن يكون التغيير زيادة ونقصان كما فى الضرب المـذال المـجزوء للبسيط حين يدخله الخبن مثاله : (٢)

قد جاءكم أنكم يومـا اذا

فارقتم الموت سوف تبعثونْ

فقوله (ف تبعثونْ) وزنه (مفاعلن) ولحقه الخبن وهـو حـذف ساكن فادركه النقصان وذيّل بالساكن الاخير وهو زيادة فدخلت فيـه زيادة ونقصان وهذا عـين التغيير الذى يطرأ على الفـروع فى اشتقاق اللغة يقول السيوطى : (والتغييرات بين الأصـل المشتق مـنه والفرع المشتق خمسة عشـر :

الاوّل زيادة حركة كعلم وعـلم
الثانى زيادة مادة كطالب وطلب
الثالث نقصان حركة كالفرس من الفرس

---

(١) العقد جـ ٥ ص ٤٨٣ .
(٢) العقد جـ ٥ ص ٤٨٠ .

التاسع زيادتهما مع نقصانهما كاستشوق من الناقه

العاشر تغاير الحركتين كبطر بطرا

الحادى عشر نقصان حركة وزيادة أخرى كاضرب من الضرب

الثانى عشر نقصان مادة وزيادة أخرى كراضع من الرضاعة

الثالث عشر نقص مادة بزيادة أخرى وحركة كخاف من الخوف

الرابع عشر نقصان حركة وحرف وزيادة حركة فقط كعد من الوعد فيه نقصان الواو وحركتها وزيادة كسرة .

الخامسة عشر نقصان حركة وحرف وزيادة حرف كفاخر من الفخار)[1]

وهذا بعينه مايقع على الاجزاء العروضية من زيادة حرف أو حركة أو نقصانهما أو اجتماع الزيادة والنقصان معا .

والفرع من أجزاء العروض اذا تردد بين أصلين حمل على الارجح وينظر فى ذلك الى دخول العلل والزحافات

---

(١) المزهر جـ ١ ص ٣٤٩ .

وقد يشتبه فرع بأصل وقد يشتبه فرع بفرع يقول الدماميني : [١] (ومن الاجزاء مايشتبه بغيره ثم هو على ثلاثة أضرب مايشتبه بسالم فقط ومايشتبه بمغيّر فقط ومايشتبه بمغيّر وسالم فالضرب الأوّل جزءان ليس الاّ وهما مفاعلتن المعصوب يشتبه بمفاعيلن ومتفاعلن المضمر يشتبه بمستفعلن وأما مالا يكون مختصا بالاشتباه بالسالم كمفعول فهو أضرب مفاعيلن وأعقص مفاعلتن • ومستفعلن مذيّل مستفعلن ومضمر متفاعلن المذال ومفاعلان مخبون مستفعلن المذال وموقوص متفاعلن المذيّل ومفتعلان مطوى مستفعلن المذيّل ومخزول متفاعلن المذيّل) • ويكون من نتاج هذا أن بعض البحور يلتبس ببعض فيطلب الترجيح ويحمل على الاقرب كما هو فى الالتباس الواقع بين بحرى الكامل والرجز يقول الشيخ التواجى (كثيرا مايلتبس بحر الكامل بالرجز وذلك أنه اذا دخل جميع أجزاء الكامل الاضمار فنقل متفاعلن فيه الى مستفعلن وملخص القول فى ذلك أنه ان وجدت جميع أجزاء الأبيات أو بعضها على متفاعلن حكم على القصيدة بكاملها أنها من الكامل اذ لا يجوز تحريك السين الى مستفعلن فى الرجز ولا فى غيره لينقل الى متفاعلن مثال ذلك قول عنترة العبسى :[٢]

---

(١) العيون ص ٨٢ •

(٢) ديوان عنترة ص ٥ تحقيق المكتب الاسلامى بدمشق •

انّى امرؤ من خير عبس منصبا
شطرى وأحمى سائرى بالمنصل

فهذا البيت استشهد به العروضيون على الاضمار في الكامل لما رأوا أول القصيدة :

طال الثواء على رسوم المنزل
بين اللكيك وبين ذات الحرمل

ولولا ذلك لم يصح الاستشهاد به لامكان أن يكون من الرجز) (١) وهذا مايحتج به اللغويون اذا وقع الالتباس بين لفظين يقول السيوطى : (واذا ترددت الكلمة بين أصلين طلب الترجيح كمهدد (علم) من الهدّ أو المهد فيرد الى المهد لان باب كرم أمكن وأوسع وأفصح وأخف من باب كرّ) (٢)

والعلة الثانية التى دعت الخليل لاستحداث العلة والزحاف هى حاجته لضبط الدائرة فقد فرض عليه نظام الدائرة أصولا للبحور لم توافق الشائع المستعمل منها فاحتاج الى تهذيبها يقول القزوينى : (انّ الدوائر بنظامها وطريقة فك البحور فيها اضطرت الخليل لانّ يفترض لبعض البحور أصولا وهمية غير مستعملة فقد وجد المديد وهو من ستة أجزاء

---

(١) فوائد عروضية ص ٧٧ مخطوط بدار الكتب ٢ ش غروض .
(٢) المزهر جـ١ ص ٣٥٠ .

لايتسنى فكه من دائرته حتى تكون أجزاؤه ثمانية فافترض لهذا البحر أصلا ثمانيا وان لم تنظم العرب على هذا الاصل واعتبر السداسى المستعمل محذوفا منه جزءان واعتبره مجزوءا وجوبا وكذلك الحال فى المقتضب والمضارع والمجتث فهى رباعية الاجزاء ولما تعذر عليه فكّها فى دوائرها الاّ اذا كانت سداسية قال فيها ماقال فى المديد ٠) (١) فقد فرض لنظام الدائرة على الخليل أن يكون السريع على :

مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ

مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ

ولم ترد حركة التاء من مفعولات فى عروض أو ضرب الاّ شذوذا ، يقول الشنتريني : (وقد شذت من السريع عروض وافية كقول الحماس :(٢)

ان تسألى فالمجد غير البديع

قد حلّ فى تيم ومخزوم

فظهرت حركة التاء شذوذا وكذلك مفاعلتن فى ضرب وعروض الوافر لم ترد الاّ على مفعولن فابتدع الخليل علة القطف لالحاق الجزء المستعمل بالاصل المهمل الذى افترضه كما

---

(١) تحفة الخليل ص ٤٠ ٠

(٢) الحماسة بشرح المرزوقى جـ ٤ ص ١٧٩٧ ٠

هو فى مفعولات اذا ابتدع الوقف والكشف لالحاق مفعولان ومفعول بمفعولات فالغرض من هذا الضرب من العلل هو تهذيب هذه الاوزان والحاق الفروع بالاصول التى افترضت لها .

وكما يراعى فى المشتق فى اللغة ألاّ يلحقه من التغيير مايبعده عن الأصل الذى اشتق منه كذلك يراعى فى أجزاء العروض ألاّ يلحقها من التغيير مايبعدها عن الاصل الذى اشتقت منه على أنّه فى الاجزاء العروضية يراعى عدم الإخلال بالنغم والموسيقى دون حروف الأصل ويلاحظ أن العلل والزحافات التى تدخل على أجزاء العروض قلما تقلل أوائل الأجزاء من سبب الى وتد ففاعلاتن مثلا لها أحد عشر فرعا (١) ، فعلاتن ، فعلات ، فاعلات ،، فعلان ، فاعلن ، ومفعولان فاعليان ، فعلن ، وفعلن ، وفعليان . نلاحظ أنّ السبب الذى فى أول الجزء لم يتغير أبدا من سبب الى وتد وقد ينتقل بالزحاف الى سبب خفيف ولكنه لاينتقل الى الوتد أبدا ومفاعيلن فى الطويل تصير مفاعلن بالقبض ومفاعيلُ بالكف ولكن لايمس وتدها المجموع الذى تبدأ به وقد يقع هذا ولكنه زحاف مستقبح كالخرم فى فعولن حيث فعلن والتزم فتصير فعلن فالزحاف ههنا يكسر الوتد المجموع يقول ابن رشيق :

---

(١) شرح أبيات أبى الجيش ص ١٢ .

الاستقباح هى الانتقال من الابتداء بالوتد المجموع الى السبب وهذا التآلف بين الاجزاء المبدوءة بنفس الوحدة العروضية أعنى الأسباب والاوتاد جلّى واضح فى البحور المركبة فقد جمع فى بحر الطويل بين فعولن ومفاعيلن مع أنّ أحدهما خماسى والاخر سباعى ولكنهما يبتدآن بالوتد المجموع وكذلك جمع بين مستفعلن وفاعلن فى البسيط ومستفعلن ومفعولات فى السريع والمنسرح • يقول الزمخشرى فى حديثه عن تركيب البحور : (وقد أزوجوا بين جزئين كأنّ كلّ واحد منهما هو الاخر وذلك ازواجهم بين مستفعلن ومفعولات لانّهما على نسق واحد فى تقديم السببين وتأخر الوتد لافرق بينهما الاّ أنّ وتد هذا مجموع ووتد ذاك مفروق •) (٢) ويقول فى موضع آخر : (ومفعولات ان فارق سائر الاجزاء فى أنّه لم يكرر وحده الاّ أنّه قد كرر مع جزء لايكاد يباينه وهو مستفعلن •) (٣) وقد أشار الاخفش الاوسط الى هذا

---

(١) العمدة جـ١ ص ١٥٠ •

(٢) القسطاس ص ٨ •

(٣) نفسه ص ٨ •

التآلف حين جوّز الجمع بين فعولن ومفاعيلن فى عروض الطويل يقول التبريزى : (واختلف الخليل والأخفش فى عروض الطويل وكان الخليل لايجيز فيها غير مفاعلن وكان الاخفش يجيز فيها فعولن على جهة مجىء الزحاف لا على جهة البناء والأصل ومعنى هذا أنّه كان يجيز فى قصيدة واحدة أن يكون بعض الاعاريض على فعولن والبعض على مفاعلن وكان يقول مفاعلن من جلس فعولن وأوله مضارع لأوّله فقياسه به أولى)[١] فقوله فأوله مضارع لأوله يشير الى اشتراكهما فى الوتد الذى يبدأ به الجزءان .

حكم العلة والزحاف :

يقول الاصمعى :[٢] (الزحاف فى الشعر كالرخصة فى الفقه لايقدم عليها الاّ الفقيه) ويقول ابن رشيق[٣] (هو رخصة أتت بها العرب عند الضرورة) وهو انما يقع فى أشعارهم عرضا لم يقصدوا اليه ولم يتجلبوه ولايجوز لمولد أن يقصد اليه ولا أن يتجلّبه بل يكون فى نظم الشعر على طبعه وسجيته يقول ابن رشيق :[٤] (ولست أحمل أحدا على ارتكاب

---

(١) الكافى ص ٢٥ .
(٢) العمدة جـ ١ ص ١٤٥ .
(٣) نفسه جـ١ ص ١٣٩ .
(٤) نفسه جـ١ ص ١٣٩ .

الزحاف الا ماخف منه وخفى ولو أن الخليل رحمه الله وضع كتاب العروض ليتكلف الناس مافيه من الزحاف ويجعلوه مثالا دون أن يعلموا أنها رخصة أتت بها العرب عند الضرورة لوجب أن يتكلف ماصنعه من الشعر مزاحفا ليدل بذلك على علمه وفضل مانحا اليه)[1] والمحدثون يتجنبون الزحاف وذلك لعلمهم بعلم العروض وفى هذا تكلف • يقول ابن رشيق ولسنا نرى الزحاف الظاهر فى شعر محدث الا لمن لايهتم كالبحترى وماأظنه كان يتعمد ذلك بل على سجيته لأنه كان بدويا من قرى ملبج لذلك أعجب الناس به وكثر الغناء فى شعره استطرافا لما فيه من الحلاوة على طبع البداوة)[2] وللمتقدمين العذر فيما وقع فى أشعارهم من الزحاف المستقبح لأنهم أصحاب اللغة وأرباب اللسان ويتساءل ابن جنى هل يجوز لنا فى الشعر من الضرورة ماجاز للعرب أولا يقول ابن جنى (سألت أبا على عن ذلك فقال : (كما جاز أن نقيس منثورنا على منثورهم فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم فما أجازته الضرورة لهم أجازته لنا وماحظرته عليهم حظرته

---

(١) العمدة جا ص ٢٤٩•
(٢) نفسه ص ١٤٩ •

المحدثين وعلى هذا ينبغى أن يكون عذرهم فيه أوسع وعذر المولدين أضيق قيل له ليس جميع الشعر العربى مرتجلا بل قد كان يعرض لهم فيه من الصبر عليه واحكام صنعته مما يعرض الكثير من المولدين) (١) أما مادخل أشعار القدماء مما هو عيب فجدير بالمولّد أن يتجلبه يقول ابن رشيق : (ومن الضرورة مايسمع عن العرب ولايحمل به لأنهم أتوا به على جبلتهم والمولّد المحدث قد عرف أنه عيب ودخوله فى العيب يلزمه اياه) وكانت العرب لاتتجلب الزحاف مالم يؤد الى كسر البيت يقول ابن جنى (واعلم أن البيت اذا تجاذبه أمران زيغ الاعراب وقبح الزحاف فان الجفاة الفصحاء لايحفلون بقبح الزحاف اذا أدى الى صحة الاعراب فلو قال فى قوله : (٢)

---

(١) الخصائص جـ ١ ص ٣٢٤ .

(٢) شواهد المغنى ص ١١٣ .

ألم يأتيك والأنباء تنمى
بما لاقت لبون بنى زياد

ألم يأتك والانباء تنمى — لكان أقوى قياسا ألا ترى أن الجزء كان يصير ملقوصا لانه يرجع الى مفاعيل • فان كان ترك زيغ الاعراب يكسر البيت كسرا لايزاحفه زحافا فانه لابد من ضعف زيغ الاعراب واحتمال ضرورته وذلك كقوله : (١)

سماء الاله فوق سبع سمائيا

فهذا لابد من التزام ضرورته لأنه لو قال سمايا صار من الضرب الثانى الى الثالث ولما مبنى هذا الشعر على الضرب الثانى لا الثالث فان أمنت كسر البيت اجتلبت ضعف الاعراب وان أشفقت من كسره البتة دخلت تحت كسر الاعراب) (٢)

ومن الزحاف ماهو مستحسن يقول الصاحب :
(وربما كان فى الذوق أطيب من الاصل) (٣) ويقول

---

(١) ديوان الاخطل ص ٢١١ •
(٢) الخصائص ج ١ ص ٢٨٤ •
(٣) الاقناع ص ٤ •

ابن رشيق : (ومن الزحاف ماهو أخفّ من التمام وأحسن كالذى يستحسن فى الجارية من النقاف البدن واعتدال القامة مثال ذلك فى عروض الطويل التام تصير مفاعلن فى جميع أبياته وهذا القبض وكل ماذهب خامسه الساكن فهو مقبوض وفاعلن فى عروض الطويل التام وضربه يصير فعلن وذلك هو الخبن ومله مايستحسن قليله دون كثيره كالقبل اليسير والفلج مثال ذلك قول خالد بن زهير:

لعلك اما ام عمرو تبدلت
سواك خليلا شاتمى تستجيرها

فلقص ساكنا بعد كاف سواك وهذا هو القبض ومله مايحتمل على كقول امرئ القيس :

وتعرف فيه من أبيه شمائلا
ومن خاله ومن يزيد من حجر
سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا
ونائل ذا واذا صحا واذا سكر

فهذا أجمع العلماء بالشعر على أنه ماعمل فى معناه مثله على أنه على ماتراه من الزحاف المستكره) (١)

---

(١) العمدة جا ص ١٣٩ .

وربما حاول بعض العلماء الى أن يرجع بعض أنواع الزحاف المستكره الى خطأ الرواة يقول أبو العلاء فى مخاطبة ابن القارح لامرئ القيس (فيقول يا أبا هند ان رواة البغداديين ينشدون فى " قفا نبك " هذه الابيات بزيادة الواو :

وكأن ذرى رأس المجيمر غدوة
وكأن مكاكىّ الجواء عشية
وكأن السباع فيه غرقى

فيقول أبعد الله أولئك فقد أساءوا الرواية واذا فعلوا فأى فرق يقع بين النظم والنثر وانما ذلك شىء فعله من لا غريزة له فى معرفة وزن القريض فظنّه المتأخرون أصلا فى المنظوم)(١) وبعض الابيات التى فيها أنواع الزحاف المستكره قد ترد بروايات مختلفة فيصلحها العلماء حملا على أن الرواة قد نقلوها خطأ يقول أبو العلاء : (والكف فى مفاعيلن مثل قول امرئ القيس ابن حجر :

ألا رب يوم لك منهن صالح

وبعض الناس ينشده :

ألا رب يوم صالح لك منهم • طلبا لاقامة الوزن)(٢)

وليس كل الرواة من جملة العلماء فيطمئن الى الاخذ بأقوالهم •

---

(١) رسالة الغفران ص ٣٠٦ •

(٢) الفصول والغايات ص ١٣٦ •

خاتمة

ذكرنا فى الفصول التى مرّت وجوه المقارنة بين منهج الخليل فى وضعه لعلم العروض وبين منهجه فى اللغة والذى بنى عليه كتاب العين ونستخلص من هذه المقارنة عدة نتائج :

أولا انّ غرض الخليل من وضع الدائرة هو حصر الأوزان العربية ومعرفة مايتفرع من هذه الاجزاء الى آخره • فقسّم الجزء العروضى الى أسباب ، وأوتاد وهى فواصل تلتهى بسواكن ثمّ حرّك هذه الاسباب والأوتاد بنقلة منتظمة الى أن يعود الى الجزء الذى بدأ منه فيعرف بذلك كل بناء ممكن للاجزاء وقد استفاد هذه الفكرة من منهجه اللغوى فى كتاب العين ويبدو التشابه جليا بين المنهجين حيث اهتمّ الخليل فى تقليبه للاجزاء العروضية والألفاظ باكمال الدائرة دون أن يهتم بالمستعمل فوقعت بذلك المهملات •

ثانيا اضطر الخليل لاثبات المهملات فى الدائرة لانها لازمة لاكمال الدائرة وليس لانها وقعت

فـــى أشعـــار العـــرب أو لأنّـــها كانت أوزانا أهمـــلت وحكمها حكـم المهمـــلات مـــن الالفـــاظ التى وقعـــت فى كتاب العين فكان اثباتها لازمـــا لحصـــر الالفاظ العربية. وذهب ابن عـــبد ربّـــه الى ذلـــك حيث يقول بعد ذكـــر الأوزان المستعمـــلة :

وأنّـــه لو جاز فى الأبيـــات
خلافها لجاز فى اللـــغات

وقـــد أثبت الخليـــل بعض هـــذه المهـملات مـع المستعمـــل لأنّـــه استحسن جرسها كمـــا فعـــل فى المضارع والمقتضب اذ لم يأت عليها شىء فى الشعر القديـــم كما ذكـــــر أبو الحســـن الأخفش وأهمـــل ماعداها .

ثالثا انّ الشاذ فى الاوزان حمل على الشاذ من الالفاظ وهو ماجاء قليلا متفرقا فلا يصح أن يجعله أصلايقـــاس عليه وان وافق الاصـــول وقد تحامته العـــرب لعلة مـن العـــلل فوجـــب تحامى ما تحامت العرب من ذلك واتباعها فيه .

وأخيرا فإن اثبات العلل والزحافات كان لازمـــا للدائـــــرة اذ أنّ نظام الدائرة قـــد فرض لبعض الاوزان أصـــولا مهملة غير مستعملة وانّما استعملت مجزوءة فاضطر الخليـــل لاثبات جزء من هذه العلل والزحافات لالحاق هـــذه الاجـــزاء بأصـــولها فبحر الوافـــر مثـــلا

جـــاء فـى الدائـــرة :

مفاعـلتن مفاعـلتن مفاعـلتن
مفاعـلتن مفاعـلتن مفاعـلتن

وجاء المستعمـــل مـــنه على :

مفاعـلتن مفاعـلتن فعـولن
مفاعـلتن مفاعـلتن فعولـــن

فأحدث عـلة سماها القطف لالحاق الجزء المستعمل بأصله المهمل •

استفاد الخليل من الاشتقاق فى اللغة لالحاق فروع الاجزاء العروضـية بأصـولها فجعل للاجزاء أصـولا ثم جعل الصـــور المتغيرة فروعـا لها واستحدث العلل والزحافات لالحاق هـــذه الاجـزاء باصـولها •

خـــلاصـــــة

تعرضـــت فى ثنايـــا هـــذا البحـــث لمذهب الخليـــل بن أحمـــد فى وضعـــه لعلم العروض مجتهـــدا فى أن أبيّن كيـــف وضـــع عـــلم العـــروض وعـــلام اعـتمـــد فى وضعـــه لهـــذا العلـــم •

فقـــد سبقت الى خاطرى فكـــرة مـوءداها أن الخليـــل قـــد بنى مـذهـبه فى العـــروض عـلى مـذهبـــه فـــى اللغـــة وذلك فى تقليـــب الالفاظ فى اللغـــة وتقليـــب التفاعـــيل فـــى العروض فان الخليـــل لما أراد حصـــر الالفاظ العربيـــة مال الى تقليـــب الكلمـات التى كونّهـــا مـن أحـــرف العربيـــة مـــن الثنائيـــة والثلاثيـــة والرباعـيـة والخمـاســـية فاذا أراد تقليب الكلمـــة الثلاثية-ضـرب-قلبهـا على وجوهها ليستخرج بذلك كلّ كلمـة يمكـــن أن تستخرج من هذه الاحـــرف الثلاثة فاستخرج منها ضرب / ضبر / ربـــض رضـب/برض / بضـــر • وهـــذه الفكـــرة هى عـين مـــا استخرج بـه البحـــور من التفاعـــيل فحصـــر أجناس الأوزان فجعلها ثمانيـــة وكل جزء مـــن هذه الاجزاء يتكون من أسـباب وأوتاد وهـــى وحدات موسيقية تقـوم مقام الحروف فى الالفـــاظ

فبدأ بتقليب هذه الاجزاء على أسبابها وأوتادها واستخرج بعضها من بعض ليحصر بذلك الاوزان العربية • فالجزء (مفاعيلن) مثلا اذا تأخر وتده المجموع صار (عيلن مفا) وهى (مستفعلن) واذا تأخر السبب الخفيف (عى) صارت (لن مفاعى) وهى (فاعلاتن) ويكون قد استخرج جزئين آخرين من الجزء (مفاعيلن) بتقليبه على وجوهه •

والعلة فى تحريك الأسباب والأوتاد عنده هو أنه أراد أن يحصل على أقوال موزونة والأسباب والأوتاد تنتهى بالساكن ويؤدى هذا الى القول الموزون وقد قال بذلك أبو نصر الفارابى فى كتاب الموسيقى الكبير يقول :
(والاقاويل انما تصير موزونة اذا كانت لها فواصل والفواصل انما تحصل بوقفات تامة وذلك انما يمكن أن يكون بحروف ساكنة فلذلك يلزم أن تكون متحركات معدودة وأن تنتهى أبدا الى ساكن) فلذا حرص الخليل على نقل الاسباب والأوتاد دون الحروف •

ولعله مما يقوى هذا القول أنّ أبا حمّاد الجوهرى قد خالف الخليل فى مذهبه فى اللغة واسقط المهملات فى الالفاظ ولم يثبت الا المستعمل وخالفه أيضا على هذا النحو فى العروض فلم يقلب الاسباب

والاوتـــاد واكتفـــى باثبات المستعمـــل مـــن الاوزان وأسقط المهمـــلات . ثم تناولت مهمـــلات الاوزان وقستهـــا على مهمـــلات الالفـــاظ فكمـــا أدى تقليب الالفـــاظ الى مهمـــلات الالفاظ أدى تقليب التفاعـــيل الى مهملات الاوزان فكـــان لابـــد للخليـــل لما أراد حصـــر الفاظ العربيـــة أن يقـــع على مهملات الالفاظ فعنـــده أن كلّ لفظـــة يمكن أن تقـــع فى كـــلام العـــرب لاتخـــرج مـــن أنها تتكـــون مـــن ألفاظ العربيـــة الثمانيـــة والعشرين وعلى هـــذا تقاس مهمـــلات البحـــور فكل قول موزون يقع فـــى كـــلام العـــرب لايتعـــدى أن يكـــون مكونـــا مـــن مجموعـــة الاسباب والاوتـــاد التى أثبتها فنظـــام الدائـــرة عـــند الخليـــل هـــو الذى أدى بـــه الـــى أن يفترض لبعـــض البحـــور أصـــولا مهمـــلة فقـــد وجـــد المـــديد مـــثلا وهـــو مـــن ستـــة أجـــزاء ولا يتثـــنى فكـــه مـــن الدائـــرة حتى يكـــون ثمانـــى الاجزاء . فهـــذه البحـــور لم تقـــع فـــى أشـــعار العـــرب وانمـــا فرضهـــا نظام الدائـــرة . وانمـــا نظـــم عليها المحدثـــون وعـــدوا ذلـــك من بـــاب الرياضـــة .

أما ماوجـــد متفرقـــا قليـــلا فى أشـــعار العـــرب وألفاظهـــم فقـــد عـــده الخليـــل شـــاذا والشاذ فى اللغة هـــو المتفـــرق والذى لايقاس عـــليـــه فقـــدوقعت فـــى

أشعار العرب وألفاظهم ألفاظ وأشعار قليلة ربما عدت من المهمل أو فارقت الأصول فعدت من الشاذ الذى لايقاس عليه • والوزن الشاذ كما ذهب الزمخشرى لايخرج عن كونه شعرا لما فيه من الالتزام بالوزن والقافية ولكنه لايجعل أصلا يقاس عليه •

ثم تخلصت الى الحديث عن العلة والزحاف وكيف تهيأ للخليل أن يضبط بها علم العروض وبينت أن الخليل قد أثبت هذه العلل والزحافات لعلتين أولاهما أنه لاحظ أن أجزاء العروض الثمانية التى أثبتها يطرأ عليها التغيير أما بالنقص أو بالزيادة وقد يكون هذا التغيير لازما وقد يكون عارضا فجعل الاجزاء التى وجدها كثيرة الدوران فى الشعر أصولا وجعل الصور المتغيرة لهذه الاصول فروعا فقد لاحظ أن الجزء مستفعلن لايلتزم هذه الصورة وحدها بل يأتى على (مفاعلن) و (مفتعلن) وقست هذا على الاشتقاق فى اللغة فقد جعل اللغويون للالفاظ أصولا وجعلوا غيرها فروعا لها • كما جعل البصريون الفعل أصلا فى الكلمات وذهب الكوفيون الى أن الاسم أصل ، على مافى ذلك من الخلاف • والعلة الثانية التى دعت الخليل لاثبات العلة والزحاف هى حاجته لضبط الدائرة فقد فرض عليه نظام الدائرة أصولا للبحور

لم توافق الشائع المستعمل منها فاحتاج الى تهذيبها وضبطها كما فعل فى بحر الوافر اذ طلع عليه من الدائرة :

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن
مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

ولكن لم يأت على هذه الصورة فى الاستعمال بل جاء على :

مفاعلتن مفاعلتن فعولن
مفاعلتن مفاعلتن فعولن

فاستحدث علة سماها القطف دخلت على مفاعلتن فجعلتها فعولن وجعله معتلا • فهو قد استفاد من علم الاشتقاق فى ضبط الدائرة وأجزاء العروض •

والله ولى التوفيق ،،،

المصـــــادر والمـــراجـــع

الارشـاد الشافـــى عـــلى متـن الكافـــــى
طبع بالمطبعـــة الشرقيـــــة
بولاق ١٢٨٥هـ ٠

بغيـــة الوعـــاة فى أخبـار النحويين واللحاة للسيوطى
مطبعة عيسى البابى الحلبى ١٣٨٤هـ ٠

الاشبـــاه والنظائـــر للخالديين طبع دار المعـارف
١٣٥٩ هـ ٠

الاغـــانى لأبـــى الفـــرج الاصفهـــانـــى
دار المعارف ١٩٥١م ٠

الاقنـــاع للصاحـــب بن عـــباد طبع دار المعارف
١٣٧٩ هـ ٠

ألفيـــة ابن مـــالك القاهـــرة ١٩٧٥ هـ ٠

أنبـــاه الرواة عـــلى أنبـــاه النحـــــاة
للقفطـــى طبع دار الكتـــــب
١٣٦٩ هـ ٠

البارع لابـــن القطـــاع مخطـــوط بدار الكتـــــب
٢١٦ عـروض ٤١٩ ٠

البيان والتبيين للجاحظ طبع المثنى ببغداد ١٣٨٠ هـ .

تحفة الخليل لمحمد حسين القزويني دار الكتب ١٩٦٩ .

تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها لابى الحسن محمد بن كيسان طبع ليدن ١٨٥٦م .

التهذيب للازهرى طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٣٨٤ هـ .

جمهرة أشعار العرب دار نهضة مصر للطبع والنشر (بلا تاريخ) .

حاشية الحفناوى للشيخ الحفناوى مخطوط بدار الكتب (٩٥) عروض .

الحماسة للمرزوقى طبع المطبعة التجارية بمصر ١٣٨٨ هـ .

الخصائص لابى الفتح عثمان بن جنى طبع دار الهدى بيروت ١٣٣١ هـ .

ديـــوان ابن الرومـــى مطبعـــة الهلال ـ ـ ـ
١٩١٧م ٠

ديـــوان امرىء القـــيس طبـــع دار المعـــارف
١٣٤٩هـ ٠

ديـــوان الاعشـــى طبـــع بيروت ١٣٨٠ هـ ٠

ديـــوان حســـان بن ثـــابت شرح البرقـــوقـــى
طبـــع مصـــر ١٣٣٨ هـ ٠

ديـــوان الحطيئـــة بشـــرح السكـــرى وابن السكيـــت
طبـــع دار الكتب ١٩٥٨م ٠

ديـــوان طرفـــة ابن العبـــد طبـــع الانجلو المصرية
(بلا تاريخ)

ديـــوان رؤبـــة بـــن العجـــاج طبـــع دار الشرق
ســـوريا (بلا تاريخ) ٠

ديـــوان عـــبيد بن الابرص دار بيروت ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م٠

ديـــوان عـــدى بن الرقـــاع طبع بيروت ١٩٥٦ ٠

ديـــوان عـــنترة بن شـــداد طبع المطبعـــة الاســـلامية
بيروت ١٣٧٧هـ ٠

ديوان النابغة الذبياني طبع مصر ١٣٩٣هـ .

ديوان لبيد دار صادر بيروت ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م .

الدوائر العروضية الجنزي مخطوط بالمكتبة الازهرية .

رسالة الغفران لابى العلاء المعرى طبع دار المعارف ١٣٨٨ هـ .

رفع الستائر عن مهملات الدوائر للحفناوى مخطوط بالمكتبة الازهرية .

شرح ابيات أبى الجيش لصفى الدين الحلى مخطوط بدار الكتب ٢ ش عروض .

شرح الصبان على منظومته طبع بالمطبعة الخيرية ١٣٢١هـ .

شرح شواهد المغنى للسيوطى لجنة التراث العربى (بلا تاريخ) .

شرح عروض ابن الحاجب مخطوط بدار الكتب المصرية ١٦ عروض ٣٤٦٢ .

الشعر والشعراء لابن قتيبة بيروت ١٩١٢م .

الصاحبى لابن فارس مطبعة المؤيد بمصر ١٣٥٨هـ .

الصحاح لابن حماد الجوهرى . تحقيق أحمد عبد الغفور دار الكاتب العربى (بلا تاريخ) .

طبقات النحويين للزبيدى القاهرة ١٩٥٤م .

طبقات فحول الشعراء لابن سلام تحقيق محمود محمد شاكر دار المعارف ١٩٥٢م .

الطبقات الكبرى لابن سعد طبع المطبعة التجارية مصر ١٣٥٨هـ .

شرح العمدة لابن رشيق تحقيق محمد محى الدين المطبعة التجارية بمصر ١٣٨٣هـ .

العين للخليل ابن احمد الفراهيدى تحقيق عبدالله درويش طبع مطبعة العانى ببغداد ١٩٦٧م .

العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرامزة طبع المطبعة الميمنية بمصر ١٣٢٤هـ .

الفهرست لابن النديم طبع بيروت ١٩٣٨م .

الفصول والغايات لابى العلاء مطبعة حجازى القاهرة ١٣٥٦هـ .

فوائد عروضية للشيخ شمس الدين الواجى مخطوط بدار الكتب ٢ ش عروض (مجموعة) .

القسطاس لجار الله الزمخشرى مخطوط بدار الكتب ٢ ش عروض . (مجموعة)

القوافى لابى الحسن الاخفش تحقيق د . عزة حسن طبع دمشق ١٣٩٠ هـ .

القوافى لابن الفتح عثمان بن جنى طبع دار التراث . (بلا تاريخ) .

القول الوافى لاحمد بن عبّاد مخطوط بالمكتبة الازهرية ١٩ عروض .

الكافى فى العروض والقوافى للخطيب التبريزى طبع الخانجى القاهرة ١٩٥٧ ٠

الكتاب لسيبويه المطبعة الاميرية بغداد ١٣١٦هـ ٠

اللزوميات لابى العلاء المعرى طبع دار المعارف ١٩٣٩م ٠

لسان العرب طبع بيروت ١٣٨٤هـ ـ ١٩٥٥م ٠

المؤتلف والمختلف للآمدى مطبعة القدسى القاهرة ١٣٤٥ هـ ٠

المرشد للدكتور عبد الله الطيب طبع الدار السودانية الطبعة الاولى ١٩٧٠م ٠

المزهر للسيوطى طبع دار احياء الكتب العربية ١٢٨٢٠

المعلقات شرح الزوزنى دار المعارف ١٩٢٠م ٠

المعيار فى أوزان الاشعار للشنترينى الاندلس طبع دمشق ١٣٩١ ـ ١٩٧١م ٠

معجم الادباء مطبوعات دار المأمون ١٣٥٠هـ .

المفضليات مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٢٠م .

مفاتيح العلوم للخوارزمي طبع مصطفى البابى الحلبى ١٩٣٧م .

منهاج البلغاء وسراج الادباء لحازم القرطاجنى تونس ١٩٦٦م .

الموشح للمرزبانى طبع دار المعارف ١٩٥١م .

الموسيقى الكبير لابى نصر الفارابى طبع دار الكاتب العربى (بلا تاريخ) .

موسيقى الشعر العربى لابراهيم أنيس القاهرة ١٩٥٩م .

ميزان الذهب فى صناعة أشعار العرب للسيد أحمد الهاشمى (لامكان ولا تاريخ) .

نقد الشعر لقدامة بن جعفر مطبعة الخانجي والمثنى ببغداد ١٣٩٣ هـ .

نوادر أبى زيد طبع بيروت ١٨٩٤م .

وفيات الاعيان لابن خلكان طبع الحلبى بمصر ١٩٣٦م .